بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

شعارنا الوحيد

إلى الإسلام من جديد

ندوة العلماء - لكهنؤ - الهند

شيخ الأزهر فى ذمة الله

توفى فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر فى ١٤ / ذى القعدة ١٣٩٨ صباح الثلاثاء المصادف ١٧/ أكتوبر ١٩٧٨م بعد عملية جراحية أجريت له فى القاهرة فانا لله و إنا إليه راجعون .

تلقت أسرة المجلة هذا النبأ الحزين بأسف و أسى بالغين ، و هى تعتبر وفاته خسارة كبيرة للمسلمين ، فلا غرو أن يفجع بوفاته المسلمون على اختلاف طبقاتهم . وإن هذه الفاجعة لا تختص بمصر و بالأزهر فقط بل إنها فاجعة العالم الاسلامى كلـــه ، والحق أن المسلمين خسروا بوفاته علما من أعلام الأمة ، كان يشغل منصباً من أهم المناصب الدينية و العلمية .

كان شيخ الأزهر من كبار علماء الاسلام ديناً وتورعاً وخلقاً وتواضعاً ، له أياد بيضاء على الأزهر وعلى المسلمين فى كل مكان ، إنه أفاد مصر والعالم الاسلامى فى العلم و الدين و الأخلاق ، و اهتم بالقضايا الاسلاميـــة فى كل مكان و تحمل فى سبيل خدمتها كل مشقة ، ولذلك كانت وفاته خسارة فى جميع المجالات الاسلامية و الدينية فى مصر و الخارج على السواء .

توفى عن عمر يبلغ ٦٨ سنة، جزاه الله خيراً عن الاسلام والمسلمين وغفر له مغفرة واسعة و أسكنه فسيح جنانه ويلهم المسلمين كلهم الصبر .

المكتبة الإسلامية
خزينة الكتب
دار العلماء

الاسلام الممتحن

– الطبعة الثانية –

بقـلم : محمد الحسنى رئيس تحرير البعث الاسلامى

يطلب من المكتبات الشهيرة فى العـالم الاسلامى

الناشر : المختار الاسلامى بالقاهرة

البعث الإسلامي

دعوتنا

[نحن ندعو إلى الاسلام الكامل الذى يعطى كل ذى حق حقه ، و ينير العقول ، و يشعل مجامر القلوب ، و يهذب الأخلاق ، و ينظم الحياة ، و يضبط الأمم ، و يقود المدنية ، و يشعل المواهب ، و ينشئ الرجال ، و يربى القادة و العباقرة ، لا هو جاف خشيب ، و لا هو رقيق مائع ، و لا هو رهبانية و هجر للدنيا ، و لا هو مادية و نهامة للحياة ، إنما هو الدين الذى جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - و نطق به القرآن ، و تمثل فى حياة الصحابة ، و القرون المشهود لها بالخير ، و التابعين لهم باحسان ، من الجامعين بين العقل و القلب ، و العقيدة و العمل ، و الجهاد و الربانية]

أبو الحسن على الحسنى الندوى
(« الاسلام المتحن » ص : ١٥)

رئاسة التحرير

محمد الحسيني — سعيد الأعظمي

العدد الخامس — المجلد الثالث والعشرون

صفر ١٣٩٩هـ — يناير ١٩٧٩م

فى .. هذا العدد

سلامة العقيدة فى حاجة إلى سلامة الحضارة — محمد الحسنى — ٣

★ التوجيه الاسلامى

موسى يذهب إلى فرعون — فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى — ١٤
الوحدة الاسلامية و متطلباتها — فضيلة الشيخ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى — ١٦
الحقوق الأساسية للانسان كما يراها الغرب — الأستاذ محمد صلاح الدين — ٣٨

★ الدعوة الاسلامية

المنكرات تهدد كيان المجتمع — السيد الدكتور عبد الله بن عبد القادر بلفقيه العلوى — ٤٥
مراعاة نفسية المخاطب فى عرض الدعوة — الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى — ٥٢

★ دراسات و ابحاث

افترابات حول السنة — لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة — ٦٣
بين الانسان الصناعى و الانسان الحقيقى — الأستاذ محمد تقى الأمينى — ٧٠

★ رجلان فقدناهما

الشيخ عبد العزيز المبعنى فى ذمة الله — فضيلة الأستاذ واضح رشيد الندوى — ٧٥
الشيخ حسن حبنكة إلى رحمة الله تعالى — فضيلة الأستاذ أبو الحسن على الحسنى الندوى — ٨٢

★ العالم الاسلامى

صور و أوضاع - كفاك عبثاً . . يامعمر القذافى ! — محمد الحسنى — ٨٥
« « إلى الأمراء والحكام فى البلاد الاسلامية — . . . — ٨٨
« « انتحار . . فى غوبانا ! — . . . — ٩٠
« « فقيدان عظيمان — . . . — ٩١
لقاءات و مشاهدات فى رحلة علمية — سعيد الأعظمى الندوى — ٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

سلامة العقيدة فى حاجة إلى سلامة الحضارة

كلمة موجهة إلى حكام المملكة العربية السعودية و أمرائها و وزرائها و كتابها

لا أعرف أن هناك دولة فى خريطة العالم الاسلامى السياسية و المدنية تقف فى موقف دقيق مثلما تقفه المملكة العربية السعودية ، وتواجه تلك الصعوبة فى الجمع بين قيم الدين الأصيلة ومعطيات الحضارة الحديثة مثل ما تواجهها . أوتتضاعف مسئوليتها مثلما تتضاعف مسئولية المملكة ، هذا الاستثناء ينبع من وجود المملكة فى مركز القيادة و الريادة فى خريطة العالم الاسلامى . . فمن هنا ظهرت هذه الرسالة التى أنقذت الانسانية ، وانبثق ذلك النور الذى أشرق به العالم ، هذه الأرض الطيبة غيرت مجرى التاريخ و مسار الانسانية ، و وضعت عنهـا إزرها و الأغلال التى كانت عليها . . و وقع عليها اختيار الخالق جل و علا — و الله أعلم حيث يجعل رسالته — بأن تكون مرابطة على الثغر ، صابرة محتسبة فى سبيل الحق . . ساهرة على مصالح المسلمين ، و مصلحة الجيل المسلم الذى تقذفه موجات الحضارة المادية العاتية فى كل اتجاه .

هذه الخصيصة الكبرى التى اتسمت بها هذه المملكة المحسودة المحروسة أصالة ، ويتسم بها المسلمون فى مشارق الأرض و مغاربها ، نيابة واقتداءاً ، جعلتها فى أدق موقف ، و أحرجه ، و أعنفه ، لا فى هذه المنطقه بالذات التى تسمى غرب آسيا

بل فى اطار الانسانية الواسع العام لأن المسلمين خير أمة « أخرجت للناس » و هم يرنون دائماً إلى منطلق الهدى و النور فصارت بذلك — عن حق و جدارة — معقلا للانسانية وموئلا لها و رقيباً عليها « و إذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً » « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً »

هذا الصراع الرهيب ، صراع المبادىء والأفكار ، صراع الميول و الرغبات ، و الأهواء و الاتجاهات ، الذى يدور رحاه فى كل شبر من أرضها ، وفى كل بيت من بيوتها ، و فى كل سوق من أسواقها ، يتلخص — إذا قلنا بلا تمهيد ومقدمات و كنا صرحاء أمناء عند الله و عند الناس و عند الحقيقة و التاريخ — فى حرصها الشديد - قولا و فعلا - على الجانب العقائدى و إهمالها الشديد - عملا وتطبيقاً - للجانب الحضارى و المدنى و الفكرى و الأدبى .

و مع إيماننا الكامل - طبعاً - بأهمية الجانب العقائدى فهو أساس البناء نريد أن نركز هناك على الجانب الحضارى و الثقافى . . . فلا بقاء للاسلام من غير حضارة و مدنية ، و أفكار و آداب ، و اتجاهات و أذواق ، و ميول وأشواق تابعة كلياً من صميم الاسلام ، خاضعة له ومتناسقة معه من قمة رأسها إلى أخمص قدميها ، و فى سائر جوانبها وجزئياتها ، وأقسامها وفروعها ، ومظاهرها وأشكالها ،

إننا أحسنا - بلا ريب - إلى أنفسنا وإلى العالم الاسلامى كله إذ حافظنا على الدعامة الأولى و هى سلامة العقيدة . . ولكننا - بنفس الوقت - فتحنا ثغورنا وأبوابنا و نوافذنا لكل لون من ألوان الحضارة ، وكل قسم من أقسام الثقافة التى تأتى إلينا من الغرب . . و نسينا أن العقائد هى أيضاً تتزلزل ، و تفقد سلطانها و حرمتها أو تذوب كالملح إذا انقطعت صلتها بالحياة ، أوقامت حولها حياة معادية لها ، متناقضة معها ، ضاربة عليها على الدوام ، و على طول الخط . . . تصور شاباً سليم العقيدة سليم الفكر ،

سليم القلب ، سليم الاتجاه . . . يعيش فى بيئة إسلامية مأة فى المأة ، و يحرص على نقاء العقيدة و صفائها أشد الحرص ثم تسوقه الأقدار إلى بيئة فاسدة و مجتمع جاهلى لا يؤمن بدين ولا يحترم عقيدة بل يشن عليها حرباً لاهوادة فيها ولارحمة ، و يتغير هو فى كل شئ ، ويتشبه بالقوم فى المأكل و الملبس ، و النطق والكلام ، و القيام و القعود و فى الصورة و الشكل ، و الاتجاه و الذوق ، يهوى الموسيقى و الغناء ، يرافقهم فى النوادى الليلية والمسابح المختلطة ، ويذهب معهم أينما ذهبوا فى التمثيل و التصوير ، و النحت و فى جميع التقليعات و الموضات ، و الكماليات و أدوات التأثيث و التجميل ، و يختلط بالبنات . . . . و يفضل السكرتيرة على السكرتير . . و يمضى معهم فى سهراتهم ، و مآدبهم و حفلاتهم . . لا يحافظ على الطهارة . . و لا يحافظ على الصلوات أو على الجماعة . . و يعيش نمطاً من الحياة لا متسع فيه لاتباع سنة النبى ، و مستوى من المعيشة لا محل فيه للزهد . و تنافساً فى الرواتب لا موضع فيه للقناعة و الصبر والشكر ، وبرامج مثيرة فاسدة باسم الترفيه و الترويح لا مكان فيها للجدية و التعقل و التبصر ، تصور هذا الشاب المسكين ، و انظر إلى متى يستطيع أن يقاوم هذه الموجات العاتية ، و يسبح فى هذا الخضم الهادر . . من الغفلة و الهوى . . و تبقى عقيدته سليمة لايلحقها ضرر ولا ينالها أذى . . وفى الحديث الصحيح : من تشبه بقوم فهو منهم ، أم أن المراد بالتشبه هو ترك العقيدة ؟ كلا . . إن المراد هنا آداب الحضارة و مفاهيمها ، و أشكالها و ألوانها . . حتى لا يعرف المسلم من شدة الدمج و الاختلاط بأهل الجاهلية و أهل الضلال بأنه مسلم . .

إن الاسلام ليس عقيدة فحسب و لو كان ذلك لهان الخطب . . و انصهر كل منا فى بوتقة الغرب من غير أن يشعر بحرج كبير ، و ما استنكر قوم شعيب

ـ عليه السلام ـ دعوته قائلين . . « قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا مانشاء إنك لأنت الحليم الرشيد » وصارت عقيدة المرء فى قلبه وأمره مع الله ، لو كان ذلك لما كان هناك صراع بين الجاهلية والاسلام .

لأن العقيدة الجامدة التى لاتخرج من الصدر أو لا تتجاوز اللسان أو القلم أو تعيش على هامش الحياة لاتشكل خطراً ما على الأنظمة الجاهليـــة . . و لذلك نرى القرآن يضغط ضغطاً شديداً على هذ الجانب . . . و لا ينهى عن التشبه فحسب . بل يحذر عن الميل إلى الجاهليـــة و الركون إليها ، و الاعجاب بها ، و يهـــدد صاحبه بالعذاب الشديد ، و يبعث فى نفس المؤمن الكراهية الشديدة والمقت الشديد إزاء هذه الحضارة ، و فى آية واحدة من القرآن مقنع و بلاغ :

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود و النصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، و من يتولهم منكم فانه منهم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين .

هذا فى ناحية الميل إليها ، فما رأيك فى رجل يغرق فى حمأتها إلى آذانها ، أو ينساق معها كل الانسياق ، أو لا يراها ضرراً على دينه و عقيدته و خلقه .

إن البلاد الاسلامية اليوم بوجه عام ، و المملكة العربية السعودية بوجه خاص ـ بحكم خصائصها الكبرى و مكانتها المرموقة فى خريطة العالم الاسلامى ـ لا تعانى من أى مصيبة بمثل ما تعانى من هذه الأزمة الفكرية و المشكلة العقلية . . و من هذا الصراع الرهيب . صراع العقيدة والحضارة الذى بلغ قمته فى نفوس الجيل الجديد .

إنها بدأت تستورد هذه الحضارة ضمن مشحوناتها الأخرى . . وتفتح لها أبوابها بكل رحب و سعة . . كأن الحضارة الغربية . أو الحضارة الأمريكية . . آنية مثل أوانى الطعام و الشراب . . لا عبرة بمادتها و شكلها ، مع العلم بأن الأوانى

ـ وهى عبارة عن أشياء بسيطة ـ تخضع هى أيضاً لحكم الشرع ، فلا يحل استعمال أوانى الذهب و الفضة أو أوانى تشرب فيها الخمر أو تصنع خصيصة لهذا الغرض و هكذا . . . ألا فليعلم الذين لا يعلمون أن الحضارة المعاصرة ليست تمثيلا عن فندق رائع ، و مركب سريع ، ومكتبة ضخمة ، و مكتب فاخر فحسب ، بل إنه ذوق و وجدان ، وإنه اتجاه و منهج ، ومفهوم و مضمون ، وثقافة خاصة ظهرت فى أمة ثائرة على الدين والحقائق الغيبية ، ناقمة من القيم الخلقية ، فجاءت مطعمة بهذه الروح ، مشربة بهذا الذوق ممزوجة بهذا الفساد الفكرى و الضلال العقائدى .

« أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نارجهنم ، و الله لا يهدى القوم الظالمين »

و إنه لا يستقيم أمرنا ما لم نقم بهذا التوازن المطلوب المفقود بين الجانب العقائدى و الجانب الحضارى فان أخذ العقيدة من دين محمد ﷺ ، وأخذ الحضارة من منابع الضلال و الالحاد فى أوربا و أمريكا لايحل مشكلة العالم الاسلامى و لا مشكلة الشرق !

لقد آن الأوان أن نبنى لأنفسنا حضارة إسلامية جديدة مستقلة تتوافق ـ بخذافيرها ـ مع عقائدنا و رسالتنا فى هذه الحياة . .

هذه الحضارة تخلو تماماً عن التشبه و التقليد الأعمى ، والمنهج الروتينى البعيد عن الحرية والابتكار ، واستيراد المناهج التربوية والأدبية كاستيراد الأدوية وآلات الجراحة ، و محاولة رسم صورة هـــذه البلاد على تصميم غربى أو أمريكى بومته بصرف النظر عن ضرورته ومع ملاحظة أضراره على عقلية النشء الجديد ، وأخطاره الواضحة للمستقبل القريب و البعيد .

وباختصار نرجو من المملكة بصفة خاصة أن تأخذ شيئاً واحداً بنظر الاعتبار ـ

وتجعله الركن الأساسى والشرط اللازم لسياستها المقبلة سواء فى مجال البناء والتصميم أو مجال التصنيع و التكنية ، أو مجال التربية و الاعلام .

و هو أن لاتستورد أى شئ إلا بعد أن تسمح به « رقابة » الحضارة الاسلامية ، إذا صح هـــذا التعبير ، وهذه الرقابة ليست ضيقة الأفق والتفكير أو متعصبة متزمتة لا تميز بين الخبيث و الطيب . . فان الحضارة الاسلاميـــة ليست حضـــارة الصحارى و الخيام و الجوارى كما يوهم بذلك المستشرقون و « وكلاؤهم الموزعون » فى الشرق ، إنها حضارة أقامت صروح المعرفة والعلم و قدمت روائع من الحضارة والانسانية والذوق الرفيع ، و حب الخير لكافة الفئات البشرية . لم يصل إليها خيال الأذكياء ، و تصورات عمـالقة الغرب الذين يصورون المجتمعات البشرية فى الأعوام الآتية عندما يقطع العلم مسافات هائلة بقوة تخييلهم فلا يصورون إلا بلاءاً ، و وباءاً ، و نكبة و مهـانة و هولا مفظعاً يؤذون بنهاية البشرية و أفول شمسها للابد (١) و إن من قرأ كتاباً فى هذا الباب وهو من « روائع حضارتنا » لفقيد الاسلام و الحضارة الاسلامية الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله ، آمن بهذه الفكرة و اقتنع بها تمام الاقتناع .

هذه الحضارة هى حضارة مبادئ لا حضارة جزئيات . . و باستثناء الحلال و الحرام . . و الأحكام الواضحة فى العبادات و المعاملات . . فانها تضع مبادئ عامة ، مرنة ، تتسع لآخر التطورات بل تشجعها و تستزيد منهـا ، و لا عجب ،

(١) أنظر كتابات الغربيين ومؤلفاتهم فى هذه الناحية ، و بعض الأفلام المرعبة التى أنتجت فى هذا الضوء ، وقد صور آخر هذه الأفلام الانتحار الاجتماعى العام للبشرية فى آخر عهدها بالدنيا بأحدث الأساليب العلمية . . و هى فى كامل بهائها و زينتها !

فان هذا الدين جاء مرافقاً بل متلازماً بالعلم و القلم ، و كان لفظ « اقرأ » أول لفظ نزل من السماء إلى الأرض . . . و يمكننا أن نلخصها فى مبدأين أساسيين .

المبدأ الأول : أن تخلو مرافق هذه الحضـارة ، خاصـــة فى مجال التصميم و التخطيط من روح البذخ والاسراف والرياء ، و الخيلاء ، وطغيان الجانب المادى ، و توفر أسباب الغفلة و الشهوة .

المبدأ الثانى : أن تتجاوب هذه التصميمات مع روح هذه الحضارة الرائعة الخالدة و آدابها و مبادئها و أهدافها : من طهارة الروح و الجسم و طهارة الذوق و التفكير ، و طهارة الظاهر و الباطن . . فلا يشعر المؤمن - فى هذه التصميمات والمشاريع - بأى حرج فى دينه ، و ضرر على خلقه ، وضعف فى دعوته و رسالته بل إنها بالعكس من ذلك تنشط قواه و تحفز همته لحمل هذه الدعوة - متمثلا بها أولا فى سيرته و سلوكه و مجتمعه - إلى آفاق الأرض البعيدة .

ان المملكة العربيـــة السعودية حافظت على العقيدة الاسلامية و غارت عليها و استماتت دونها ، فاستحقت بها رضى الله و ثناء المسلمين و دعاءهم . . و إنها عبدت طرقاً ، بل شقت طرقاً فى الصخور و الجبال و أقامت فنادق و مستشفيات ، و معاهد و جامعات ، فاستحقت تقدير المواطنين و شكر الحجاج و الزائرين . و إنها أقامت حدود الله فخيمت على البلاد كلها ظلالا وارفة من الطمأنينة و السلام و الاستقرار ، و الأمن العاطفى . . و انها جهرت بالاسلام و نادت به على المستوى الرسمى بكل شجاعة و اعتزاز . . و فعلت الكثير والكثير ، و لكنها مع الاسف الشديد قصرت فى الجانب الحضـارى و التوفيق بين عقيدة الأمة السليمـــة و الحضارة المعاصرة المسمومة ، المشحونة بمواد الغفلة و الضلال ، و البغى و العدوان . . . . و إن

أمانة الحق ، و الدعوة . و أمانة العقيدة أيضاً تحتم علينا أن نحذرها من مغبة هذا التقصير الكبير قبل فوات الأوان ، و قد فات منه فعلا الشئ الكثير !

إن الاسلام لايستطيع أن يعيش بدون حضارة كاملة بسائر مفاهيمها وجوانبها و نشاطاتها و أجنحتها . . . إن الاسلام بدون حضارة ، دين بلا قوائم و دعائم . . . أو إنه قائم على دعامات واهنة ، مستعارة ، تنذر بالسقوط والانهيار . . لاشك أن هذا الصراع أقوى و أقسى فى بعض البلاد العربية التى أسلمت نفسها لذئاب الغرب كقطائع منقادة من الغنم . . و لكن ذوبانها فى الحضارة الغربيـــة لا يضر العالم الاسلامى كثيراً بخلاف المملكة العربية السعودية التى جعلها الله محط أنظار المسلمين و معقد آمالهم . و قبـــلة العالم الاسلامى و مثله العالى و نموذجاً يقتـــدى ، و أسوة يتأسى بها !

ان الحياة الجديدة التى قفزت فى الصحراء بين يوم وليلة ، و حضارة استوردت كالبضائع و السلع الاستهلاكية من غير رؤية سليمة واضحة و تصميم اسلامى دقيق ، لا تبشر بخير . . هذا الجانب المبارك الذى عرفت به أرض المملكة الطاهرة عبر القرون و الأجيال ، و التى خرجت أبطالا بعد أبطال كلما اشتد الخطب ، و ضاقت على المسلمين السبل لا يتلاءم اطلاقاً مع الجانب الحضارى أو الجانب الأمريكى الذى طغى اليوم على سائر مرافق الحياة . . و سيطر على سائر أجهزة الاعلام ، فكانت نتيجة ذلك أن ظهرت فى الجزيرة و بخاصـــة فى الجيل الجديد صورتان لا توافق إحداهما الأخرى على الاطلاق . . أو تياران مضادان يشعر بهما كل ذى عينين بل يلمسهما بالبنان ، إلا أن التيار المادى أقوى و أعنف ، و التيار العقائدى و الايمانى أضعف و أخف . .

إنها أمانة نوديها لوجه الله إليك أيتها الجزيرة و المملكة الاسلامية الرائدة ، و عن طريقك و باذنك تنقلها إلى بلادك الاسلامية الشقيقة التى أكلت على مائدتك ومن رفدك - و أعنى بهـا مائدة الايمان ورفد القرآن ، لا رفد البترول ومعوناتك السخية - و تعتز بالانتماء إليك على منهج سيدنا محمد ﷺ ! فان صورة هذه البلاد المعاصرة الحديثة - و منها باكستان التى تمر اليوم بهذا الصراع المرير - لا تختلف عن هذه الصورة ، و هى تعانى نفس الصراع من غير سلاح ، سلاح الحضارة الاسلامية التى وضعته أكثر هذه البلدان يائسة من مستقبل هـذه الحضارة ملتزمة - ما استطاعت إلى ذلك - بعقائدها و بعض تقاليدها ، أو خائفة مذعورة من هجمات الغرب المتوالية فى عقر دارها ،

و لنا أمل فى مستوى فهم الحكام والأمراء و الوزراء و فى ذكائهم وإخلاصهم ، و اطلاعهم على جوانب البؤس و الشقاء فى الحضارة الغربيـة . . . و فى كفآتهم و مواهبهم لوضع تصميم جديد يجمع بين الجـانب العقائدى و الايمانى ، و الجانب الحضارى والفكرى و المدنى جمعاً عادلا متناسقاً ، و بأنهم يفهمون هذه القضية الكبرى حق فهمها ، و يعرفون مدخل الغزاة ، غزاة الغرب (و معذرة باستعمال هذا اللفظ الذى اتصلت به حرمـــة الغزوات فى الاسلام و غزاة جزيرة العرب و مصر و الشام) . . . قبل أن يستفحل الخطر ، و يفلت من أيديهم الزمام . . .

ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد ! ! ؟

محمد الحسنى

« بقية المنشور على ص ١٠٠ »

السفارة المصرية فى الهند التى تقوم بتهيئة ما يلزم فى هذا الشأن ، وشكرناه على اعتنائه بالأمر ، و خرجنا من عنده لكى نزور سيادة الدكتور عبد المنعم النمر الذى كان مكتبه فى نفس العمارة إلا أن أحد الموظفين فى مكتبه أخبرنا بأنه غير موجود ، و مشغول بمهمة خاصة خارج القاهرة ، و قد لا يعود إلا بعد أيام ، فأسفنا على ما فاتنا هذا اللقاء ، و قد كنا حريصين على لقائه وقضاء وقت معه لأن لنا به صلة قديمة ، وتعارفاً سابقاً حينما كان فى الهند كمبعوث للازهر فى دار العلوم ديوبند بين فترة ١٩٥٥م و١٩٥٨م ومعه أخوه الأستاذ عبد العال العقباوى وقد تفضلا بزيارة دار العلوم لندوة العلماء خلال هذه المدة واستمتعنا من وجودهما عندنا عدة أيام ، و كان بينه و بين سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الندوى علاقة أخوية مخلصة فكان قد سر بهـــذه الزيارة سروراً كبيراً و أعجب بما رأى فى دار العلوم ندوة العلماء من نشاط علمى وأدبى ، وكان يحب مجلة « البعث الاسلامى » ويزودها بكتاباته وبحوثه القيمة ، و استفاد من إقامته فى الهند فألف كتاباً قيماً حول تاريخ المسلمين فى الهند نال إعجاباً و رواجاً فى الأوساط العلمية و التاريخية فى العالم الاسلامى .

تعرفنا ذات مساء فى دار الاعتصام شابين كريمين ، هما من إخوان الجماعة الاسلامية فى مصر ، أحدهما الأستاذ أحمد إدريس ، والثانى أحمد محمد أبو الوفاء ، و قد تحدثا إلينا حول بعض الشئون الدعوية فى الهنـد و باكستان ، و رحبا بنا فى مصر ، و طلبا منا اجتماعاً بمجموعة من الاخوان فى كلية الطب بجامعة القاهرة فرحبنا بهذه الفكرة و اتفقنا معهم حول الاجتماع بهم فى مبنى اتحاد الطلاب حيث نصلى معهم صلاة الظهر ونجتمع فى القاعة ، ويتم التعارف و الحديث حول النشاط الاسلامى فى البلدين .

« يتبع »

التوجيه الإسلامي

موسى يذهب إلى فرعون

فضيلة الشيخ عبد الرحمن محمد الدوسرى

(٨٧) « و لقد آتينا موسى الكتاب و قفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقاً كذبتم و فريقاً تقتلون » ؟ يكرر الله امتنانه على بنى إسرائيل بارساله موسى و إيتائه الكتاب موضحاً مواقفهم المشينة تجاه النبوات ، و الحقيقة التى يجب معرفتها والاعتبار بها هى إرسال موسى إلى فرعون موسى الذى نشأ وليداً فى بيت فرعون و تربى على النعمة و الترف و الدلال . كيف يقف أمام فرعون أعظم الطواغيت و أبطش الفجرة مخاطباً له بمنطق السفيه و التهديد ؟

نعم لقد تربى موسى تربيتين تربية مادية مائعة فى بيت فرعون لو بقى عليها ما صلح لحمل رسالة الله و لا للصمود أمام هذه الطاغية و لكنه حصل على تربية ثانية روحية هيأ الله لها أسباباً جعلته يهرب من فرعون خائفاً يترقب و يذهب إلى (مدين) فيعيش عيشة الخفض و الخشونة أجيراً عند (شعيب) عليه السلام يرعى الأنعام و يتلقى المفاهيم الطيبة و التربية الروحية التى صنعه الله بها على عينه عند نبيه شعيب يمكث عشر سنين حتى إذا سار بأهله فاجئته المواهب الالهية بعد الاعداد الذى أعده الله لها فيناديه من جانب الطور الأيمن الغربى (إنى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى) ثم يأمر بالقاء عصاه فيلقيه فيكون حية تسعى ثعباناً مبيناً مرعباً ، و يأمره أن يأخذها بلاخوف مطمئناً له أنه سيعيدها كما كانت ليقوى

رباطة جأشه ثم يأمره بالذهاب إلى فرعون « اذهب إلى فرعون إنه طغى » .

و فرعون بطشه معروف عتيد فى ملكه قوى فى جنده عنود فى كفره ظلوم غشوم متسلط و لكن فوق هذا سلطان الله و قوة الله وحصانة الله ، يقول موسى لربه « رب إنى قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون و أخى هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى ردءاً يصدقنى إنى أخاف أن يكذبون ، قال سنشد عضدك بأخيك و نجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما و من اتبعكما الغالبون » و السلطان مشترك بين الحجة الباهرة و القوة القاهرة و كلتاهما حصلت لموسى و هارون أمام أعظم الطواغيت و أفصح الجبابرة .

هنالك تأتى ثمرة الدور الثانى من حياة موسى و تربيته الروحية موسى الذى بتربيته المادية يهرب من فرعون خائفاً يترقب يعود إليه بالتربية الروحية مخاطباً له بأصرح خطاب و أبشع تهديد قائلا « لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموت و الأرض بصائر و إنى لأظنك يا فرعون مثبوراً » يجرى بينه وبين موسى حوار عظيم ينكر فيه رب العلمين ويقرعه موسى بالقوارع العظيمة و يريه الآيات الكبرى فلا يستطع حراكا أمام هذا التحدى ، ذلك أن الله شل حركته و أبطل كيده و لم يجعله يقدر إلا على التكذيب ورمى موسى بالسحر ثم الاستعانة عليه بالسحرة .

أنظروا أيها المسلمون كيف شل الله حركة هذا الطاغوت امام موسى فلم يستعمل معه حتى غليظ الكلام فضلا عن التهديد أين ذهب بطشه ؟ أين ذهبت غطرسته ؟ أين ذهبت قوته و جبروته أمام موسى و هرون ؟ إنه سلطان الله الذى خسأه و أرهبه و كبته وجحده ، إنها حصانة الله التى لا يغلبها غالب و التى جعلته يتسول السحرة و يخضع لهم لما قالوا « أإن لنا أجراً إن كنا نحن الغالبين - فيقول - نعم و إنكم لمن المقربين » يتنازل فرعون بسلطته و سلطانه طالبا دحض موسى على يد السحرة و المشعوذين كانه لا يملك سوى ذلك .

الوحدة الاسلامية و متطلباتها

[هذه محاضرة ألقاها سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى فى حفل أقامته (مؤسسة « همـــدرد » الأهلية) Hamdarb National Foundation على دعوة من رئيسها الطبيب محمد سعيد المؤقر ، و ذلك فى فنـــدق إنتركانتينينتال بكراتشى (باكستان) فى ١٣/ يوليو ١٩٧٨م و استمع إليها الناس على اختلاف طبقاتهم فى الحياة بالاضافة إلى رجال العلم و الثقافة و رجال الفكر والخبرة والرأى الحصيف ، ونقل نصها الأردى إلى العربية نور عالم الندوى] .

الأستاذ نور عالم الندوى

قال بعد الحمد لله و الصلاة على رسول الله ﷺ :

كلمة الوحدة جذابة كالمغناطيس :

أيها السادة ! إنى مدين للطبيب محمد سعيد - حفظه الله - حيث وفر لى فرصة التحدث إلى هذه النخبـــة المختارة ، و إلى هذا الحفل الكريم ، و أتاح لى أن أبوح بأفكارى ، و أعبر عن مشاعرى و عواطفى ، إن ذلك لمنـــة على الغريب - الذى ستكون إقامته بهذا البلد محدودة بالأيام والليالى ، و الذى لا يعرف بالضبط و الدقة أعيان البلد و وجهاءه و قادة الفكر و رجال العلم و التربية فيـه ، و لا يعرف شأنهم و مكانهم - أن تدعى للاستماع لحديثه هذه النخبة الممتازة من أولئك السادة الذين يجدر كثير منهم بأن تشد الرحال للقياهم وحدهم .

ولكن بجانب ذلك كله تتضخم مسئولية الخطيب أوالضيف ، و يجعله الموقف فى امتحان : إلى أى مدى سيستطيع أن يستغل هذه النعمة ، ويستخدم تلك الفرصة ، وهل

تدعه موجة الأفكار و الانطباعات ، و تزاحم العواطف ، و فيضان القلب بمزيج من مشاعر الشكر و العرفان بالجميل و الشعور بالواجب ، أن يحسن التعبير - أمام السادة الحاضرين - عن مشاعره و أفكاره و نداء ضميره . أم لا ؟

و قبل أن أدخل فى صلب الموضوع ، أرى لزاماً على أن أحبـذ الطبيب محمد سعيد المحترم على اختياره للحديث هذا الموضوع الذى يضرب على الوتر الحساس - نظراً إلى حرج الموقف و دقة الظروف : ظروف الصراعات و الظنون ، و الشكوك و الشبهـات ، و ظروف الدوافع و الأسباب المتضـارية فى مجتمع وبلد ، منى - و لا يزال - بأن يعبر طريقاً مفروشاً بالأشواك ، و أجمة شائكة مائجة بالقتـاد .

أيها السادة !

كلمة « الوحدة » من تلك الكلمات العديدة الحبيبة الأثيرة التى تحمل جذابية و مغناطيسية فى دنيا الناس ، والانسان يعشق « الوحدة » بطبيعته لأنها نداء ضميره ، وصوت قلبه ، و رضا ربه ، و لا غرو فانه - لكى يعيش فى دنيا الانسان هذه ، و يتمتع بالحياة ، و يتجمل بوجوده هذا البستان الأرضى ، و لكى يستخدم مواهبه ، ويستغل تلك الأهليات التى حباه الله إياها — فى حاجة ملحة إلى أن يعيش متعاضداً و متعاوناً و متضامناً .

الصراع بين الوحدات :

لكن التاريخ يشهد أن هـــذه الوحدات - على حساب طبعيتها و وظيفتها و معانيها - قامت بدور التخريب أكثر من القيام بدور التعمير ، فقد كانت الوحدة لتوحد الانسان ، و تثير فيه عاطفة الحب والحنان والأمن والسلام ، ولتوجد جو الاعتماد المتبادل ، لكن الوحدات ، تصارعت كما تتصارع الوحشيات ، وكما تتصارع

القوى و الطاقات ، على حين كان من المتوقع أن لا يكون هنـــاك صراع ما بين الوحدات ، مهما تصارعت القوى ومهما تصارعت الأشياء مع مثلها أوضدها . . من الممكن المعقول أن يتصادم التخريب مع التخريب ، وأن تحارب الفوضى الفوضى ، وأن تتصارع السلبيات مع السلبيات ، أما أن تقع الحرب بين جمعية و جمعية . و وحده وحدة ، فتلك هى تجربة غريبة فريدة من نوعها ، و انحراف عن الطبيعة لا يوجد له نظير فى التاريخ البشرى ، و رواية أليمة مؤلمة مخجلة ، يتندى لها جبين التاريخ و يسود بها وجهه .

إلا أن ذلك يرجع إلى الأساس الذى تقوم عليه الوحدة ، فإن كانت الوحدة قائمة على أسس سلبية : على عاطفه العدوان ، على إذلال الانسان ، على شعور بسط النفوذ و السلطان ، على النسامى و الكبرياء ، و استعباد العباد و البلاد ، فلا بد أن لا تقر مثل هذه الوحدة بوحدة أخرى سواها ، لأن غمداً واحـــداً لا يسع سيفين ، فاذا ما تقرأ تاريخ أمة أو ديانة تجده رواية متصلة الحلقات من الحروب الدامية ، تجرى أنهار الدماء ، و تقطع الرؤوس البشرية ، و تؤلف منها القباب ، و تجعل البلاد خاوية على عروشها ، و تثل العروش ، و يهلك الحرث و النسل ، و تداس الحضارات و المـــدنيات ، و إذا رحت تبحث عن الأسباب - فى ضوء فلسفة التاريخ - وجدت أنه كانت قد نشأت هنالك وحدة ترى سر بقائها فى القضاء على الوحدات الأخرى .

مجرد الوحدة لا تحمل قيمة ، وليس لها

وزن حبـــة خردل فى الميزان :

و قد دلت التجارب : تجارب النوع البشرى - أن مجرد الوحـدة لا تجـــدى نفعاً ، و لا تغنى غناء ، و إنما المناط بأساس الوحدة ، و الغاية التى أريد من ورائها .

و أول وحدة نجدها فى تاريخ ارتقاء النوع البشرى ، هى الوحـــدة الأسرية و العائلية ، و الوحدة القبلية ، و الوحدة السلالية والعنصرية ، والوحدة الجنسية ، ثم نجد - بعد ما تقدم العالم البشرى - الوحدة اللغوية ثم الوحدة الحضارية والثقافية .

وكانت الوحدة الحضارية والثقافية من بين هذه الوحدات الكثيرة ، أكبر محط للآمال ، و ذلك لأن الحضارة و الثقافـــة شئ لا يمت إلى إيذاء العباد و إهانة النوع البشرى بصلة ما ، لأنهما - الحضارة والثقافة - تعنيان الاعانة على زوال الشكوك و الشبهات ، وارتفاع الحاجز بين إنسان وإنسان ، و أن تنشأ عن طريقهما عاطفة الحب و الوئام والتعاون والسلام ، و العدل و الانصاف . و أن يندفع المرء على الاطلاع على حوائج أخيه وعلى أعذاره ، وعلى مواضع ضعفه ، وأن يشمله بعطفه و حنانه ، و يسعى لتحقيق حاجته ، و أن تنتبه فى نفسه الدوافع على الاطلاع على أدبه و شعره ، و لغته و ثقافته . . و مستغرب كل الاستغراب أن تشتمل الوحدة الثقافية و الحضارية على جانب من العدوان ، واستعباد المجموعة البشرية ، والحرب ضد الحضارة البشرية .

لكن الحقيقة أن الحياة البشرية مجموعة من أنواع المتضاربات و المتناقضات ، (Contradictes) حتى يعجز علم النفس الحديث أيضاً عن إدراك أبعادها وأعماقها ، فقد ينشأ فى داخل الانسان إنسان آخر ، و قـــد يتبنى الانسان أغراضاً تستهدف الاطاحة بالانسان ، و ربما تقوم هـــذه الأغراض على أنقاض أغراض إنسان آخر ، فلو كانت هناك فلسفة للحياة لا تحيا ، و لا تنمو ، و لا تترعرع ، و لا تخضر ، و لا تثمر ، إلا بموت الانسان ، و هـلاكه ، و انهزامـــه ، و شقوته و تكبته ، فذاك هو الداء العضال الذى يستعصى على المعالجة ، و اللغز الذى يعيى فكه الحيل البشرية .

التصور الاسلامى للوحدة :

أما الاسلام فلا يقر من بين هذه الوحدات المصطنعة الكثيرة إلا بوحدتين حقيقيتين ، ويدعو إليهما دعوة مؤكدة ، و هما أعظم الوحدات عصمة و براءة ، و أكثرها نفعاً و خيراً للبشرية ، و أغناها إيجابية وفعالية ، و تعميراً و إنتاجاً ، و هما : و الوحـــدة الانسانية ، و الوحدة الايمانية ، أما الوحدة الانسانية فهى تعنى أن السلالة البشرية ، كلها أبنـــاء أب واحـــد ، و هو آدم أبو البشر عليه و على نبينا الصلاة و السلام ، و قـــد وقع سيدنا محمد ﷺ على هـــذه الوحدة و ختمها بكلمات معجزة جعلتها من التأكيد و التوثيق بمكان سوف لايقربه أى ميثاق (Charter) الوحدة الانسانية فى العالم ، فقال ﷺ : « إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد» فوحدة الأب و وحدة الرب، تانك هما الوحدتان اللتان أكرمت بهما الأفراد البشرية ، فيرجع وجودها الجسمى وينتهى نسبها الطينى إلى شخص واحد مهما اختلفت ألوانها و أجناسها ، و تنوعت لغاتها و لهجاتها ، و تنائت ديارهـا ، و تباينت فى الأعمـــار و السنين ، و السمنـة و الهزال ، و الطول و القصر ، و كذلك ربها و خالقها و رازقها واحد ، فهذه المناداة بالوحدة الانسانية بهاتين الكلمتين الوجيزتين لا توجد مناداة بها أعمق منها ، وأشمل و أدق و أكمل، وأكثر منها اتفاقاً مع العقل و المنطق .

إذن فان هاتين الوحدتين تربطان الانسان بعضه ببعض ربطاً موثقاً ، وتجعلان البشرية المنتشرة فى الآفاق وحدة متراصة . و تجعلان الانسان إخواناً متعاونين متماسكين من ناحيتين : ناحية آصرة الأبوة - و قد تعرض رسول الله ﷺ للأبوة أولا ، لأنها الحقيقة العادية المساغة لكل إنسان - وناحية الربوبية . هذه هى الوحدة

الانسانية الحقيقية الواقعية التى أعلن عنها النبى الأعظم سيدنا محمد ﷺ من خلال خطبته العالمية التى تخاطب النوع البشرى فى أرجاء المعمورة إلى يوم القيامة ، وكأنها شهادة أداها سيد الأنبياء والرسل عليه صلوات الله وسلامه ، وذلك بمناسبة حجة الوداع .

وحدة جديدة فريدة :

أنشئت فى القرن السادس المسيحى وحدة جديدة ، أنشئت على أساس عقيدة توحيد الله ، و إفراد الله بالعبودية و الربوبية ، و على روح المواساة و مبادىء العدل و المساواة ، و خدمة الانسانية و العطف عليها .

آخى النبى ﷺ بين المهاجرين من مكة إلى المدينة ، وبين الأوس و الخزرج من أهل المدينة المنورة ، و أقام بينهم صلة الأخوة القوية ، و ألف من هؤلاء و هؤلاء وحـــدة ، لأن هؤلاء المهاجرين كانوا غرباء يحتاجون إلى مأوى يأوون إليه ، فكانت هـذه الآصرة آصرة من نوعها ما عهدتها البشرية على مدار التاريخ ، قامت على مجرد أساس العقيدة و الهدف . . و كل من درس السيرة دراسة عميقة يعرف أن هذه الوحدة لم تكن وحدة حضارية أو وحـــدة اجتماعية ، نعم . . كان هناك نوع ما من وحدة اللغة ، إلا أن ما كان يوجد من الفارق بين اللهجتين المكية و المدنية و بين الأسلوبين اللغويين : المكى ، و المدنى ، كان كافياً لتوسيع الفجوة بين أهل مكة و أهل المدينة ، و تعرفون أنتم أن الأساليب اللغوية تختلف بعد قليل من المسافة . ويتعصب لها أهلها تعصب الناطقين باللغات المختلفة تماماً ، وقد جربت باكستان ذلك تجربة أعتقد أنه لم يجربها إلا قليل من البلاد .

و لا يفوتنى بهذه المناسبة أن أؤكد أن ما يراه عامة الدارسين للسيرة النبوية من الاتحاد الكلى فيما بين المجتمعين : المكى و المدنى ، و المدنيتين : المكية والمدنية ، ليس من الصحة فى شئ ، فان الدراسة الحديثة للسيرة تقرر أن اختلافاً واضحاً كان

يوجد بين المدنيتين ، وكان أهل مكة - و لاسيما قريشاً - يحملون الشعور الزائد بالتفوق (Superiority Complex) يدل على ذلك ما دار بين القرشيين الثلاثة وبين الأنصار، بمناسبة غزوة بدر الكبرى ، و إخالكم تتذكرون أن ثلاثة أبطال قرشيين و هم عتبة و شيبة : و الوليد بن عتبة : قد برزوا فى الميدان - ميدان بدر - و تحدوا المجاهدين المسلمين وطلبوا إليهم المبارزة بدءاً بالحرب ودخولا فيها ، فبرزلهم ثلاثة فتية من الأنصار ، فقالوا : «ما لنا بكم من حاجة» ثم نادى مناديهم : « يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا» فلما برزلهم عبيدة و حمزة و على رضى الله عنهم بأمر النبى ﷺ قالوا « نعم أكفاء كرام » مما يدل على نخوتهم القبلية و أنهم كانوا يعتزون بقبيلتهم وجنسهم ، ولا يرون غيرهم أكفاءاً لهم فى قليل أو كثير ، وبجانب ذلك كان العنصر الأهم من العناصر التى كانت تشكل المجتمع المدنى هم اليهود الذين كانت لهم السيادة (Dominate) و الكلمة المسموعة ، فقد كانت اليهود لها حضارتها ، و ثقافتها ، و لغتها ، وكانت هى الأمة الوحيدة المتحضرة الراقية - عبر الجزيرة العربية - التى كانت لها مدارس و معاهد تعليمية كانت تسميها « المدراس » - بكسر الميم وسكون الدال المهملة - وكانت تدعو غيرها من الشعوب أمية ، فقد حكى القرآن الكريم على لسانهم : « ليس علينا فى الأميين سبيل » و لا تزال اليهود تعتقد ذلك ، فهى تصف الشعوب كلهم بكلمة « Goyim » التى تعطى معنى « غير المتمدن » و « سئ الأدب » .

على كل فلو توسعتم فى دراسة السيرة لعلمتم مدى اختلاف المجتمعين : المكى والمدنى ، أحدهما عن الآخر - رغم الوحدة اللغوية والوحدة النسبية فى آبائهم العليا ، و بما أن المجتمعين قطعا مراحل الارتقاء فى بيئتين مختلفتين اختلافاً تاماً ، فعادا

و كأنهما مجتمعا دولتين مستقلتين ، ومن ثم فكان من الممكن أن لا يندمج المهاجرون و الأنصار اندماجاً كلياً ، و لا تتألف منهم وحدة تحمل طبيعة واحدة كالأدوية المركبة بالعناصر المختلفة و العقاقير المتنوعة ، ولا يتنازل كل من المهاجرين والأنصار عن شخصيتهم المستقلة ، وإذاً فلا تفيدون فائدة الأدوية المركبة من المفردات الكثيرة ، التى تعطى تأثيراً خاصاً لم تكن تعطيه المفردات على حدة .

و لم تكن القضية قضية المهاجرين و الأنصار فحسب ، فقد كانت الأنصار تتوزعهما القبيلتان العظيمتان - الأوس الخزوج - اللتان كانت بينهما معارك وحروب حتى الماضى القريب ، كما تنشب الحروب بين أمتين متنافستين متخاصمتين ، أو بين دولتين تتربص إحدهما الدوائر بالأخرى ، وكانت حرب بعاث - التى وقعت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة بخمس سنوات - الحلقة الأخيرة من سلسلة الحروب الدامية ، و قتل فيها الطرفان أحدهما الآخر شر قتلة ، وأذق أحدهما الآخر ألوان الشقاء وسوء العذاب . و كانت لدى كل من القبيلتين مزدوجة تتحدث عن تاريخها وتتغنى بمجدها ومآثرها ومفاخرها ، وكان اليهود يواصلون المحاولات - حتى بعد ماتشرفت القبيلتان بالاسلام - لاثارة نخوتهما القبلية و غيرتهما الجاهلية بتذكير هذه الوقائع الماضية فى النوادى و المحافل التى تضمهما ، فهناك رواية فى كتب السيرة تقول : إن القبيلتين أوشكتا فى إحدى المناسبات - بفعل المكيدة اليهودية - أن تشتبكا و أن توقع كل منهما بالأخرى ، إذ خرج عليهم رسول الله ﷺ ، فأطفأ هذه الجذوات المستعدة للاتقاد بماء بارد من الأخاء الاسلامى والايمان ، و العطف و الحنان (١) .

على كل فكان بالامكان أن تحدث هناك فوضى جديدة مكان الأمن و السلام

(١) راجع سيرة ابن هشام ، الجزء الأول ، ص : ٥٥٥ .

و التضامن ، و أن تنشأ فتنة جديدة بدل أن تبرز قوة موحدة متعاونة ، و كانت الأسباب لذلك متوفرة ، كما سبقت الاشارة إليها فى السطور السالفة ، وكان الكيان اليهودى فعلا أكبر و أنشط و أقوى عامل (Factor) لكل هدم و إفساد ، ولا غرو فان اليهود يملكون من مؤهلات الافساد و التخريب ما لا تملكه أمة فى عالم البشر ، و لا يزالون يستأثرون بهذه المزية . إذن فكان فى الحسبان أن يوقع العنصر اليهودى بينهما العداوة و البغضاء ، و يجدد بينهما الحمية الجاهلية التى تجعلهما صفين متقابلين متحاربين .

هذا بالاضافة إلى أن الحياة المكية كان عمادها التجارة ، على حين كانت الحياة فى المدينة تتوقف على الزراعة و الفلاحة ، و الغرس و التشجير ، و كان هذا الاختلاف فى الحياتين ناشئاً عن الاختلاف فى الأوضاع الجغرافية ، وقد كان هناك فرق بين الحياتين بالنسبة إلى المعاشرة العائلية و الحياة الأسرية ، كما أشار إلى ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى إحدى المناسبات .

وحدة العقيدة و الهدف !

و لا أعرف أنه أقيمت هناك أخوة فيما قبل أو أوجدت آصرة - فى مثل هذا التنسيق و الدقة و الوضوح - على مجرد أساس الوحدة فى العقيدة و الغاية ، قامت هذه الأخوة فيما بين المؤمنين المخلصين الذين كانوا يؤمنون بالوحدة الانسانية و الوحدة الربانية ، و كانوا يتمتعون بالثبات على وحدة العقيدة و وحدة الهدف ، و كان ذلك قوة جديدة أنشئت لانقاذ العالم المنهار ، و انتشال الانسانية عن بؤسها و شقوتها .

قليل فى العدد ، جليل فى الهدف :

و ما هو مركز هذه الجماعة الناشئة الممثلة لتلك الأخوة المنقطعة النظير ؟ وما

هو مكانه من الثقل و الاعتبار ، و ما عو هدد أعضائها و أفرادها ؟ يتحدث القرآن الكريم عن كل ذلك ، فيقول :

« و اذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس » . إذاً فكانوا من القلة بحيث يعدون بالأصابع ، و كانوا من الخفة بحيث لا يحسب الناس لهم حساباً ، ولا يلقون إليهم بالا ، فكانوا يخافون كل لحظة أن يتخطفهم الأعداء تخطف الغربان و الحدآن قديد اللحم دون أن ينالوا منهم بشئ ، أو يؤذوا جنبهم بشوكة .

كانوا فى هذه الحالة من الضعف و العجز و القلة و الخوف ، التى عبر عنها القرآن الكريم تعبيراً أبلغ و أروع و أدق ، و لكن - على الرغم من ذلك لننظر ما هو المركز الذى كان يحتله هؤلاء المسلمون المستضعفون ؟ لنعلم ضخامة المسئولية التى ألقيت على عاتقها . . أيها السادة ! أؤكد لكم أنى أقضى من عجبى كلما أقرأ الآية التالية التى تتحدث عن مسئولية هذه القلة الموحدة . . ما أضخم المسئولية و أدقها و أصعبها ، و ما أعظمها لدى الله و أكرمها ! يقول الله عز و جل : « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » . . يخاطب الله المهاجرين والأنصار مؤكداً عليهم : أنهم إن لم يقوموا بتحقيق هذه الوحدة ، و لم يدعموها و يحكموها بكل ما يلازمها ، تكن فى أرض الله فتنة عظيمة و فساد كبير . . لو سمع هذه الكلمات رجل سياسى يقيس الأمور بظواهرها ، لوقف مدهوشاً حائراً واجماً ، و لتساءل : ما هو رصيد هذه القلة من القوة ، وما هو واقعها من الاعتبار ؟ . . إنها كاللسان المسكين يحاصره ٣٢ سناً ، أو كنقطة فى المحيط ، أو كقطرة أمام البحر الزاخر الهادر ، فمن أين لهذه الوحدة القليلة المؤلفة من المهاجرين و الأنصار أهلية القضاء على الفتنة العظيمة ؟ ! . .

لكن الله - العليم الخبير - أكرمها بهذا « الوسام » ومنحها هذه المرتبة من الشرف ، لأنه يريد لها القيام بعمل جليل ، و قيضها لحاجة ملحة ، حاجة الابقاء على الحضارة الانسانية ، و إنقاذ العالم البشرى الحائر . .

لم يكن ليدرك صدق الآية القرآنية هذه ، إلا الذين يؤمنون بقدرة الله المطلقة ، و كانوا يدركون روح هذه الوحدة الناشئة - رغم قلتها العددية - و كانوا يدركون قيمتها - Merit - و أهليتها ، و ثقلها المعنوى ، و ما كانت تتمع به من الحماس و النشاط ، و التألم و التفجع للانسانيه المنكوبة ، و ما كان يتصف به أعضاؤها من الرهبنة فى الليل ، و قضاء النهار على صهوات الخيل ، و الآلام و الأشجان التى كانوا يعيشونها . و كانوا يدركون كيف يضحون هم بأنفسهم وبأفلاذ أكبادهم وبأموالهم فى سبيل الله ، و مدى القلق الذى يعيشونه فى التفكير وراء إنقاذ النوع البشرى من الدمار ، و لنشر الهداية و الفضيلة و الفلاح فى شرق الأرض و غربها ، و لمنع الانسان أن يحارب بعضه بعضاً ، و يأكل القوى منه الضعيف . .

لا يدرك صدق هذه الآية إلا هؤلاء الصنف من الناس ، لأنه كان صعباً على العقول و الأفهام - حتى بالقياس إلى الفتنة المعاصرة لهذه الوحدة الناشئة ، و فى تلك الملابسات السياسية و الحضارية و المدينة - أن تدرك هذا السر سر تشريف هذه الوحدة بهذه المرتبة العظيمة ، و تكليفها بهذه المسئولية الضخمة ، حتى قيل فى حقها إذا لم تتحقق ولم تنقو ، تموج الدنيا الانسانية بالفتن والويلات ، وتذوق ألوان الشقاء و البلاء ، ونيط بها مسؤلية إنقاذ العالم من نار الفساد والدمار التى كادت أن تأتى عليه ، و تدعه رماداً ، لو نظرت فى خريطة العالم المسيحى فى القرن السابع - ولا أريد الخريطة الجغرافية ، وإنما أريد الخريطة الحربية ، وخريطة الشعور المتطرف بالتفوق ، و التبجح بالعدد و العدد و القوة - و ما ترك من تأثير مؤلم على العالم ،

لعرفت صدق ما صوره شاعر الاسلام حكيم الشرق الفليسوف الاسلامى الدكتور محمد إقبال فى أبياته الرائعة البليغة الآتية :

« إن الانسانية ذاقت ألوان الشقاء و البلاء ، و الدمار و الهلاك ، على أيدى « الأسكندر » « و جنكيز » ، و تاريخ الأمم العريق ينادى رجال الفكر و التجربة و يتقدم إليهم برسالة خالدة : إن التبجح بالقوة خطر أى خطر على المرء ، إنه كسيل جارف يكتسح البلاد و العباد ، و يبقى العقل و الفكر ، و الادراك و العلم ، أمامه كغثاء السيل » .

عبء العالم كله على وحدة قليلة متواضعة :

ألقيت مسئولية العالم كله على وحدة جديدة متواضعة نشأت حديثاً على أرض المدينة المنورة ، و أكد على هذه المجموعة الانسانية ، بألا تألو جهداً فى إحكام هذه الوحدة ، و تعمق جذورها ، و ريها وسقيها ، و السهر عليها ، و الايمان بها ، و الولاء لها ، و أن لا تدخر وسعاً فى التفجع على الانسانية الشقية ، ولا يحولن بين هذه الغاية الكريمة الجليلة مصلحة ذاتية ، أو مصلحة جماعية ، أو أغراض حزبية . . و حكم بأنها لو أهملت فى هذا الشأن فان الاهمال يؤدى إلى سلسلة من الويلات ، و إلى سيل جارف كاسح من الشقاء اللامتناهى . .

صدقونى : أنى كلما أقرأ هذه الآية الكريمة « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض و فساد كبير » يأخذنى العجب العجاب : و أسائل نفسى - فى حيرة - أين هذه القلة المتواضعة من هذه المسئولية الجسيمة ، هذه القلة التى كان من صغر الحجم بمكان يحتاج المرء فيه للرؤية إلى الألمعية والفراسة - و إن غنى عن استخدام المكبرة - .

ضغط على تلك المجموعة المتواضعة أن تركز كل عنايتها على تأصيل هذه الوحدة وتنميتها ، لأنها لو قصرت فى ذلك ، لسوف تأكل هذه الوحدات - المنتشرة فى أرجاء

الأرض ، و الناعقة هنا و هناك - النوع البشرى كله ، و ذلك لأنهـا ليست فى الواقع وحدات ، و إنما هى وحشيات ، إنمـا هى مؤامرات ضد النوع البشرى . لأن هذه الوحدات تريد بعضها أن تنمو على حساب البعض وتتكون بمجموعة ، فتكون نذر خطر للمجموعات البشرية كلها ، و لا تزال اليوم و حشيـات تقوم على قدم و ساق باسم الوحـدات ، و نرى اليوم أنواع الفوضى و التفريق و التميز باسم التجمعات و الجمعيات و الجامعات ، و أنصارها دائماً يصفونها بوحدات ، فمثلا : هى وحدة كذا ، و هى دولة كذا و هى كتلة كذا ، و هى فلسفة كذا ، و هو النظام الفلانى ، لكن هذه الوحدات كلها تكذب بعضها بعضاً ، وتحارب بعضها بعضاً ، و لا تعترف أى واحدة منها بأخواتها الأخرى أبداً ، و كل وحدة منها قررت أنها لا نجا إلا إذا غابت كل الوحداث سواها فى ضمير الغيب . .

إذاً فاذا كانت هناك وحدة يمكن أن تكون رحمة للانسانية كلها ، فانمـا هى الوحدة الانسانية و الوحدة الايمانية - بكل جدارة - التى يصح التعبير عنهما بالوحدة الاسلامية ليس إلا .

الوحدة اللغوية و جناياتها :

هذه اللغة التى هى غاية فى البراءة و العصمة ، و التى تتساقط كلماتها عن الأفواه البشرية كالأزهار فى جمالها و بهائها ، هذه اللغـة التى وضعت للتأليف بين القلوب ، و لأدخال السرور و الفرح عليها ، و لكى تكون وسيلة التغنى بالحب و المودة ، و لتقريب الانسان بعضه من بعض ، هذه اللغة التى استخدمت كترجمان صادق لعواطف الحب ، و للكشف عن أسرار الطبيعة و الحياة ، هذه اللغـة التى طالما أطربت الانسـان و جعلته يهتز من النشوة ، و طالمـا كانت رسول الحب و السلام ، و الرحمة و الأمان ، و العطف و الحنان ، و رفعت الحاجز النفسى

فيما بين القلوب المتقاطعة ، وجبرت القلوب المتكسرة ، وفجرت أنهار الود والوئام . إنها كانت السبب فى الفتك بمآت الآلاف من النفوس البشرية ، هذه هى التى قامت من أجلهـا مجازر وحشية و ذبح فيها الذين كانوا يحملون اللسان ، كان الذى يحمله القتلة الوحشيون .

هـذه الوحدة اللغوية المزعومة ، و الحب الزائد لها ، و العصبية العمياء من أجلها ، قد فعلت الأفاعيل بأولئك الذين لم ينبسوا بشئ سوى كلمة الحب والحنان ، و الذين أحيوا الليالى بذكر الله و عمروا خلوات الليالى بالتسبيح و المناجاة مع الله إنها جرعتهم كأس الموت ، و ولغت فى دمائهم .

إن هذه اللغة إذا جعلت أساس وحدة مصطنعة ما أنزل الله بها من سلطان ، و ليس لها وزن حبة خردل فى الميزان ، فانها تدع جهود الأنبياء كلها هباءاً منثوراً ، و تتحول إلى قوة هادمة تهدم كل ما بنته الأوائل فى آن واحـد ، و تذهب بكل ما قام به السلف من جهود الاصلاح ومحاولات البناء ، و تأتى على الثروة الحضارية و الثقافية كلها فى ثانية أو أقل . . إن الوحدة اللغوية - أيها السـادة - جرت من الويلات و الشرور ما جعل الانسانية تقف أمامه مدهوشة واجمة ، وأفقدها الشعور و الوعى ، و قد اكتويتم بهذه النار ، و لا يزال هذا الخطر الأسود يحدق بكم ، إنى أخاف أن ينهض داهية مغرض و يستخدم اللغة كوسيلة ناجحة لاقامة الحواجز و الفروق ، و لاثارة الحمية الجاهلية ، و أن يستغلها لأغراضه السياسية . . حقاً إن هذه اللغة تستطيع اليوم أيضاً بكل جدارة ، أن تلعب ذلك الدور التخريبى الذى لعبته السيوف فى أيدى « سيرز » و « قيصر » و « جنكيز » .

الوحدة الحضارية و نتائجها الوخيمة :

و كذلك الحضارة ، فقد كانت رسالتها الوحيدة : أن يتحضر الانسان ، وأن

يشعر بمواضع الضعف فى نفسه ، ويعترف لغيره بالفضل لو كان يتصف به ، يعشق الحسن و الجمال حيثما وجد ، و يقدر الفن و الأناقه فى صورهما و أشكالهما ، ويطرب إذا أنشد عليه أحد شعراً بليغاً يجمع الجمال الفنى والموسيقى ، ويعجب بالذكاء و العبقرية و البطولات و المآثر مهما اتصف بذلك شعب و أمة ، و أن يعتبره ملكا لنفسه بصفته ثروة إنسانية مشتركة . . كان من اختصاص الحضارة أن ينفخ فى الانسان الشعور بأن المآثر مهما وجدت وحيثما وجدت هى كأنها ملكه الشخصى ، فليحتضنها ، و ليقدرها حق قدرها ، لكن . . الحضارة حينها تحرم التوجيه الربانى ، و تحيد عن الهدى النبوى ، لاتعود حضارة ، بل تتحول آلة تعذيب و إبادة ودمار للانسانية ، أفما قرأتم قصة محاربة الحضارات للحضارات ، و قصة صراع الثقافات مع الثقافات .

أيها السادة ! قد اقتضحت اليوم الأسطورة القائلة بغناء مجرد الوحدة ، و قد تقرر بما لايدع مجالا للشك أن الوحدة - أى الوحدة - إذا لم تمدها الوحدة الايمانية والوحدة الانسانية فانها تتحول إلهاً يعبد ، وتقدم له القرابين ، وربما تصبح بدل أن يتنعم بها الانسانية ، ويطيب بها العيش ، وتلتذبها الحياة ، وتتحقق بها الأمانى ، و تتجسد بها الأحلام ، و تتعلل بها البشرية ، و تشبع بها العواطف ، و ترضى بها الرغبات - ديناً ، لها كل ما للدين من تحمس و إخلاص ، و تقديس و إجلال . و ربما تعود فلسفة ونظاماً يفرض على الانسان ، رغب فيه أو رغب عنه ، ويرغم على الاذعان له و الخضوع لجلالته . . إنها جرت الويلات على الانسانية آلاف مرات ، و عهدتها الانسانيه فى أدوارها الكثيرة ذئباً ضارياً شرساً .

السبب فى الحربين العالميتين : الأولى و الثانية :

أيها السادة ! قد يكون فيكم كثير ممن عهد الحربين العالميتين : الأولى (١٩١٤م)

و الثانية (١٩٣٩م) و قد يكون فيكم من لم يعهد إلا الأخيرة . . فماذا كان السبب - ياترى - فى هذه المجازر ، و هذه الاغارات و الهجمات ، و الحروب الدامية ! أفهل كان ذلك صراعاً بين الحق و الباطل ، أفهل كان هناك باطل يطارد الحق ، فأرادت دولة ، أو أمة ، أن تأخذ للحق الثار ، و تقف بجانبه ؟ لا و كلا ! . .

إن العامل الحقيقى فى كل ما يجرى على الساحة العالمية من الفساد اللامتنا هى ، ومن الجرائم المتواصل ، والفوضى التى لا تجد لها نهاية هو الشعور الزائد بالتفوق و الكبرياء ، و أصارحكم - أيها السادة - ليس هناك شعب يريد الاصلاح ، يريد أن يعيد للانسانية هدوءها و قرارها بالقضاء على أسباب هذه الجرائم و الفوضى ، بل كأن كل شعب يقول : ما لى و لذلك ، . . تأكيدوا . . أنه لا يهم أحداً الاصلاح ، و إنما يريد أن لا تكون هذه الجرائم إلا تحت إشرافه هو ، . . كأن كل أمة تقول : إن هذا العالم بخيرأى خير إذا عادت السيطرة عليه إلينا ، و تكون لنا الكلمة المسموعة دون الأمة الفلانية .

فمثلا : هذه الحرب العالمية الأولى ، ماذا كان السبب فيها ؟ . . شعرت ألمانيا شعوراً قوياً ملحاً أن تكون لها تلك السيطرة على الأسواق العالمية والمتاجر الدولية ، والوسائل والذخائر والبضائع فى العالم ، التى لا تزال بريطانيا تستأثر بها منذ أمد بعيد .

و تلك هى طبيعة أحزابنا السياسية كلها دون استثناء ، و قد كررت هذا القول فى كثير من الحفلات و التجمعات التى ضمت أخلاط الناس فى الهند أيضاً ، أكدت فيها أن هذه الأحزاب السياسية لا تهمها فى شئ إزالة الفوضى و الفساد - و إن لم يصرح بذلك بلسان المقال - و إنما يعنيها أن لا يجرى الفساد و أن لا تدور الفوضى إلا تحت تصرفها ، و أمرها و نهيها ، و لكم أن تجربوا ذلك . . فلو حولتم إليها سلطتكم ، لما وجدتم جديداً ، و تقدماً فى القضية أو تأخراً ،

لأنها لا تختلف معكم اختلافاً مبدئياً منهجياً أو أخلاقياً .

و لو ألقيت نظرة على المسرح العالمى ، لرأيت أن هاتى الأمم الأوربية التى شنت بعضها حرب إبادة على البعض وأراقت الدماء بكل سخاء عدة مرات ، لم تكن محاربة بعضها بعضاً من أجل الاختلاف فى المبادىء و الأهداف أو بين المسيحية و غير المسيحية ، أو بين العدل والظلم ، أو من أجل إعداد خريطة أخرى جديدة للحياة الانسانية ، لا ، بل لمجرد أن ينضم الانسان إلى المعسكر الفلانى و أن تجتمع الدنيا تحت الراية الفلانية .

و معذرة إليكم - أيها السادة - إن أحزابنا السياسية فى الدول الشرقية لدينا تفكر هذا التفكير ، وتنحو نفس المنحى ، فهى لا تتفجع على أن المواهب الانسانية تضيع ، وأن الشباب يقع فريسة الشذوذ و الانحراف والفساد الخلقى ، وأن النظام التعليمى المعاصر خاطئ أو عقيم فيحتاج إلى التغيير و التعديل . . كل ذلك لا يهم أحداً ، و إنما الهمة مصروفة فى الحصول على الملك و السلطان . .

المشكلات التى تواجه المسلمين فى باكستان :

أيها السادة !

قضية مسلمى باكستان لاتنحصر فى أنهم يحملون لواء الوحدة عبر باكستان فحسب ، بل قضيتهم أعمق و أشمل من ذلك ، فهم يتقلدون مسئولية تمثيل هذه الوحدة فى خريطة العالم السياسية ، و يتبنون تحقيقها و تجسيدها (Demonstrate) و الدعوة إليها و جمع الناس تحت رايتها . . و من هناك فلئن تراجعوا عنها و خذلوها ، أو حدث فى هذه البلاد التصارع على أساس اللغة أو الثقافة والحضارة أو ظهرت فتنة إحياء الحضارة المحلية القديمة ، فينهض هناك أناس يتحمسون لاحياء

الحضارة الهندوكية العريقة فيما قبل الاسلام . . فالويل كل الويل لهذه البلاد ، و لا يستطيع أحد أن ينقذها من مخالب الدمار إلا الله العلى القدير ، و ذلك لأن ما يأخذ بحجز هذه البلاد ، و يربط بين العناصر المتباينة التى تشكلها ، هو هذه الوحدة الايمانية و الوحدة العقيدية ، و الوحدة الاسلامية ، فان رحتم تقيمون هذه الوحدات الجديدة المصطنعة ، و جعلتم تنصبون هذه الأصنام التى نحتتها الأيدى البشرية و التى ثار عليها شاعر الاسلام الدكتور محمد إقبال و نعى عليها فى شعره البليغ قائلا : « حطموا أصنام الألوان و العناصر والأجناس ، و انصهروا فى بوتقة الاسلام ، حتى لا يبقى » هناك « تورانى » أو « إيرانى » أو « أفغانى » . فان هذه الأصنام من اللون الجنس و العنصر و الثقافة و الحضارة ، و . . . و . . . ، سوف تفعل فعلها ، و تعطى تأثيرها الأسوء الذى يؤدى بهذه البلاد إلى ما تقشعر منه الجلود ، و تشيب لهوله الولدان ، فقد ذاقت على أيدى هذه الأصنام بلاد من أرض الله ألواناً من الشقاء . . هذه تركيا انتبة فيها الشعور باحياء الآسيوية وتولى كبير ذلك « ضياء كوك ألب » وكان بطل هذه « المسرحية » كمال أتاتورك ، وكذلك هب فى إيران من حين لآخر هذا الفكر الأسود ، و هتف أشواب من الناس باعادة الحضارة « الفارسية » الممقوتة . . فحذار - أيها الاخوة - أن يستيقظ هذا الشعور فى بلادكم فى قلوب أناس ، و ينادوا هذا النداء الجاهلى ، لأنه نذر خطر لا نهاية له . .

و تأكدوا أنه ليس هناك شئ يمكن أن يكون ضماناً على الأمان إلا الوحدة الايمانية و الوحدة الاسلامية التى هى صمام الأمن و السلام فى الواقع ، و إذا قامت هناك وحدة ما سوى هذه الوحدة فسوف تشتت شمل هذه البلاد ، و تمزق هذا المجتمع الهادىء تمزيقاً ، و تضرب القوى بعضها ببعض ، و تنفخ فى العصبيات

الجاهلية - تلك التى ضرب الاسلام على جذورها - روحاً جديدة ، فتنفض عن نفسها الغبار ، و تهتز و ترتص .

ولا أعلم أن النبي ﷺ قدشدد فى الكلام ، فى قضية من القضايا أو فى مناسبة من المناسبات ، ماشدد فيما يتصل بالعمية الجاهلية ، لأنه (ﷺ) كان يدرك - بفراسته النبوية و بادراكه للحقائق ، و اطلاعه على تاريخ الأمم و الديانات : بجانب كونه محط الوحى والالهام الربانى أنها أخطر الفتن ورأس الفساد ، قال عليه الصلاة والسلام :

« من تعزعليكم بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه و لاتكنوا »

يعنى إذا نادى أحد بنداء الجاهلية ، و استعداها عليكم ، و قال : يالهذه القبيلة ، و لتلك الأمة ، أو يالهذه اللغة و الثقافة ، أو نال من أمة و شعب على أساس العنصرية و الجنسية و النسب ، أو على أساس عصبية من أمثال هذه العصبيات ، فتناولوه بألسع الكلام و ألدغه ، و لاتلتجئوا إلى الكناية و الاشارة فى التشديد و التشنيع .

و تعلمون - بدوركم أيها السادة - أن هذه العصبية تستطيع أن تبيد فى أن واحد ، الثروة العلمية و الأدبية و الثقافية و الحضارية الغنية التى تكونت فى آلاف الأعوام و السنين ، و أن تجعل المحاولات الاصلاحية المخلصة التى قام بها عباد الله المؤمنون الصالحون بعد تضحيات جسام هباء منثوراً ، ورماداً تذروه الرياح فى مكان سحيق . إنها أعمى العمى ، إنها لاتبصر و لاتعى و لاتعقل . و لاتراعى فى أحد إلا ولاذمة .

إنى أريد أن أحذركم ، و أن أبلغ هذا التحذير إلى أقصى ما يمكن أن أبلغ إليه : إن أخطر خطر على هذه البلاد هو العصبية اللغوية أو العصبية الحضارية ، و الدعوة إلى إحياء الحضارة القديمة ، و أريد أن أطلق هذا الحديث ، لأن ذلك

لا يخص بلداً دون بلد ، إنه خطر مدلهم على كل بلد يمنى بهذه المصيبة ، خطر على مصر الحبيبة - مثلا - إذا دعت إلى الحضارة الفرعونية ، كما حدث قبل أعوام ، و خطر على إيران الشقيقة ، إذا تعزت بـ « سائرس » واعتبرته « البطل النموذجى » .

و تفادياً من ذلك تشتد الحاجة إلى إحكام هذه الوحدة الكريمة ، الوحدة الاسلامية ، لأنها هى وحدها رسول الأمن و السلام ، و قادرة على البناء و الاصلاح ، و هى وحدها التى تجمع و لا تفرق ، تؤاخى و لاتعادى ، ترحم و لاتقسو ، تبنى و لاتهدم ، و قد امتن الله علينا بهذه النعمة الجليلة :

« واذكروا نعمة الله عليكم إذكنتم أعداء ، فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً » .

يعنى اذكروا كيف كان بعضكم حرباً على بعض ، يلغ كل منكم فى دم أخيه ، فألف بين قلوبكم ، و قامت بفضله بينكم أخوة قوية منقطعة النظير تركت العالم البشرى يقف منها موقف المدهوش المتحير و يقضى من عجبه حينما يرى فى كتب السيرة مظاهر هذه الأخوة العجيبة . . هذا أبو عزيز أخو مصعب بن عمير رضى الله عنه ، يشد بالوثاق فيمر به مصعب ، فيشير على الموثق بالاحكام ، لأنه ثرى يمكن أن يؤدى فى فديته مبلغاً خطيراً ، فيقول أبوعزيز - حينما يرى من أخيه الشقيق موقفاً لم يكن يتوقعه - كنت أرجو أنك ترق لحالى . و تتوسط فى تخليصى ، و تشفع لى بخير ، فيتبرأ منه مصعب ، و يقول لست أنت منى فى شئ ، و إنما الذى يوثقك هو أخى ، ويقع منى فى كل شئ ، إلى هذا المبلغ قد بلغت هذه الأخوة ، ياسادة ! وإلى هذا الحد وحدتهم هذه الوحدة ، وحدة العقيدة والغاية .

أما الوحدة اللغوية ، فلا تغنى غناء ، و إنكم تعرفون علاقة مابين الناطقين باللغة الواحدة بعضهم ببعض ، هل استطاعت أن توحدهم ، و أن تجردهم من

الأنانية . و الأهواء النفسية . و الأغراض الذاتيـة الرخيصة ، و أن تجعلهم إخواناً متحابين متجاوبين متعاطفين حينما يجدون فرصة من الوقوف فى وجه الناطقين بغير لغتهم ، و أن توقظ فيهم الشعور الانسانى ، فيكرم بعضهم بعضاً و يحترمون دماء إخوانهم و أعراضهم و أموالهم ، كاحترامهم لدمائهم و أموالهم و أعراضهم .

حقاً ، إن الوحدة اللغوية ليست بشى ، مالم تكن هناك وحدة قلبية ، وتجاوب عاطفى ، و انسجام روحى ، فقد رأيتم أن اللغة وحدها ، تعجز عن أن توحـد ، بل إنها بالعكس من ذلك تقوم بدور سلبى ، إنها تؤلب الانسان على الحرب ضـد الانسان باسم اللغة .

أنتم تتشرفون بمنصب الدعوة إلى الوحدة الاسلامية :

يا سادة ! قبل أن أنهى حديثى ، أريد أن أصرح بأن الله لم يكرمكم بنعمة هذه الوحدة ـ الوحدة الاسلامية فحسب بل أسند إليكم مسئولية الدعوة إليها ، فيتحتم عليكم أن تمثلوها أمام العالم ، حتى يرى الناس بأم أعينهم آثارها و ثمارها الحلوة ، أرجوكم أن تكونوا على مستوى هذه المسئولية العظيمة و على مستوى هذا الشرف الكبير ، حتى إذا أراد هذا العالم الذى يضطرب من حولكم أن يرى نموذج الوحدة الاسلامية ، يمكنه إن يجد فى باكستان متمناه و طلبته ، فلا تسمحن لوحدة جاهلية فى داخل حدودها بالنشوء والارتقاء ، و التزعزع و النماء ، لأنها تجعل قلوبكم شتى ، و توزعكم فى كتل وجماعات ، وتخلق لكم مشكلات معقـدة يعجز عن حلها العقلاء و قادة الفكر ورجال السياسة ، مهما بلغوا من عمق الفكرو رجاحة العقل .

إنه كفر بنعمة الله ، و نكران لفضله ، أن تزعزعوا تلك الركيزة التى عليهـا تأسس هذا المجتمع ، وأن تضيعوا ذاك الهدف الأسمى الذى من أجل تحقيقه أقيمت هذه الدولة . . لابد أن تلاحظوا ما هى الدوافع التى جذبت أبناء الاسلام إلى هذه

المنطقة ، الغرض الذى من أجـله تجمعوا ، و النور الذى عليه تساقطوا ، هل اللغة هى التى جمعتهم هنـا ، أو الحضـــارة هى التى جاءت بهم ؟ لا و كلا ! و ربمـا يمكن أن يختلف سكان مقاطعة فى هذا البلد عن سكان مقاطعة أخرى فى المعـاشرة و الاجتماع اختلاف الأمتين ، و هذا الاختلاف طبيعى ، ولو ألقيتم نظرة واحدة على هذا الحفل الكريم لرأيتم هذا الاختلاف فعلا ، فما هى الجامعة التى تجمعهم على هذا الاختلاف ، وما هى الرابطة التى تربط بعضهم ببعض رغم هذا الفرق الكبير ؟

إنما هى الوحدة الايمانية بكل تأكيد ، وتلك هى التى تستطيع أن تظل توحدكم ، و تقويكم ، و تشد عضدكم ، فى المستقبل ، و تستطيع أن تبقى على عزكم و شرفكم و مكانتكم ، و تعطيكم ضمان السلام الدائم ، فاحتضنوها ، و قدروها حق تقديرها ، و تقلدوا مسئوولية الدعوة إليها ، و سوف يكون ذلك منكم خدمة قيمة لهـذا العـالم الجريح المثخن بالجروح من التمزق و التشتت و الانشطارية . بجانب كونهـا خدمة دينية مشرفـة .

و أخيراً ، فأشكر كم جميعاً على حسن إصغائكم لحـديثى ، و على ما منحتمونى من الحب و التقدير ، فجزاكم الله جميعاً ، و شكر سعيكم ، و ضاعف أجركم ، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

الحقوق الأساسية للانسان كما يراها الغرب

الأستاذ محمد صلاح الدين

« معرب »

و فى سياق حديثنا عن الحقوق الانسانية عنـــد الغرب ، يجدر بنا أن نلقى ضوءاً على فكرة الحقوق الانسانية لدى الاشتراكية ، فان المصـــدر الحقيقى لحقوق الانسان الأساسية هو العمل الجدلى للتاريخ ، كما يقول « ماركس » « ولينن » إذ أن الحقوق ليست من معطيات الفطرة بل إنها نتيجة هذا العمل التاريخى وحده ، إنها بعد ما تنتهى بأداء دورهـا فى مختلف مراحل التاريخ تنذاب أخيراً فى المجتمع الشيوعى العادل ، إن هؤلاء الشيوعيين قبل كل شئ ساعدوا الطبقة البورزوائيـــة على قلب نظام المجتمع الاقطاعى وتأسيس مجتمع رأسمالى ، ثم استخدمهم البروليتاريون فى صراعهم الطبقى كسلاح ضد الرأسماليين ، وهم الآن يصونون مصالح الطبقة الكادحة باسم الاشتراكية ، و أخيراً يذوبون بأنفسهم و يتفانون فى الشيوعية من أجل الحرية الكاملة و العدالة الاجتماعية .

و من وجهة نظر هذه الفلسفة فلا علاقة لهذه الحقوق بالفطرة ، و لا أنها جزء لازم لذات الانسان لا ينفك عنها ، وليس لها ميزة خاصة و لا أهمية بل إنما هى جزء لقانون البلاد العام و إن الحزب الحاكم يملك الخيار كل الخيـار فى تعيين هذه الحقوق ، لأنه هو المشرف الوحيد على مصالح الطبقة الكادحة فى البلاد ، وذريعة مستقـــلة لتحقيق رغباتها . أما تنفيذ الحقوق الأساسيـــة فلا يسمح به إلا فى

الحدود التى تتفق فيها هذه الحقوق مع مصالح هذه الطبقة ، و بدون هذه المبـادىء الأساسية والاعتماد عليها تعتبر مطالبة هذه الحقوق أمراً غير شرعى ، يعنى أن المصالح الاقتصادية للطبقة الكادحة هى المبدأ الرئيسى الذى يخطط حـدود الحقوق الأساسية كلها ، و لكن الذى يعين هـذه المصالح الاقتصادية هو الحزب الشيوعى الذى يعتبر الممثل الوحيد للطبقة الكادحة و أعضائها البارزين ، فيرجى منـه بجـدارة أن يحتفظ بمصالح الكادحين ، و يضع قانوناً لائقاً يضمن مستقبلهم الاقتصادى بما فيـــه تعيين الحقوق الأساسية ، يقول «ايندرى وشنسكى» موضحاً فلسفة القانون للاتحاد السيوفياتى : «إن القانون الروسى مجموعة لقواعد السلوك التى تتخذ شكلا قانونياً بحاكمية الكادحين و فى ضوء مرئياتهم ، وإن السلطة العليا للـدولة الاشتراكية توفر ضماناً لتنفيذ هذه القوانين المؤثر ، و أهداف هذه القوانين كما يلى :

(الف) الحدب و الحفاظ على العلاقات والنظم التى تفيد الكادحين و تنال إعجابهم .

(ب) القضاء التام على الرأسماليـة و على جميع آثارها الباقية من النظام الاقتصادى و من منهج الحياة و من شعور الانسان لكى يتم بناء المجتمع الشيوعى » (١) .

أما « غريغوريون » و « دولغوپولوف » اللذان يعتبران مفسرين للدستور الروسى فانهما يعرفان الحقوق الأساسية كالآتى :

« إن الحقوق و الواجبات الأساسية للمواطنين الروس فى الحقيقة تعبير عن الروح الاشتراكى للاتحاد السوفياتى » (٢) .

---

(1) Vyshiusky Andrie. Y. The Law of the Soviet State (1948) P. 74

(2) Grigorian L. &. Dolgopolory «Fundamentals of Soviet State Law Progressive Publishers Moscow (1971) P. 1950 .

و معنى ذلك أن الدولة فى الاتحاد السوفياتى لها السيادة الكاملة على الأفراد ، فهى التى تعين لهم الحقوق التى لا تتعدى نطاق التشريع العام للدولة .

إن هذا التصور للحقوق يختلف عن تصور الغرب للحقوق الأساسيـــة تمام الاختلاف ، بل هو نقيضه فى معنى الكلمة ، إذ أن الغرض الأصيل لهذه الحقوق فى الغرب ، هو الاعتراف بصيانة الفرد إزاء الدولة ، و لذلك فان هـــذه الحقوق تفوق على قوانين الدولة هناك و هى تضم إلى دستور البلاد بتحـديد حق التشريع للدولة ، و يفوض إلى إدارة العدل تنفيذ هذه الحقوق الأساسية .

بالعكس من ذلك مكانة هذه الحقوق فى الاتحاد السوفياتى . والدول الاشتراكية كما يقول سى. دى. كرنغ : حول هذه الحقوق الأساسية :

« إن الحقوق الأساسية تتولد من القوانين التى تضعها الدولة و تنفذها ، وقد رفض ههنـا أى مبرر لها على أساس القانون الطبيعى ، و هكذا فقـــد أصبح من المستحيل الضمان لحفظ أرواح المواطنين و أموالهم إزاء الدولة لأن تهيئـــة هذه الصيانة للافراد توقف على رأى الدولة ، و لكن تصور الغرب للحقوق يمنح كل فرد هذه الحقوق ، لأنه يستقل بحقوقه الأساسية ككائن حى يملك شعوراً و وجوداً قيماً بينما النظرة الشيوعية ترى أن قيمـة الانسان كفرد من أفراد الدولة نسبيـــة خالصة ، و تتعين مكانته فى المجتمع طبقاً لامكانياته ، أما الحقوق الأساسية فانها لاتختص بفرد من أفراد البشر ، بل إنها تعتبر للنوع البشرى كله من حيث المجموع .

« أما المحاكم العامة فى جميع الدول الشيوعيـــة عدا « يوغوسلافيا » فتقوم بتوفير الصيانة القانونية بطريق محدود جداً ، كما لا توجد فيها مؤسسة عالمية لصيانة حقوق الانسان ، لأن الجماهير هناك لا تعتبر مستقلة فى إرادتها بل إنها تتقيد بتعليمات الدولة على كل حال » (١) .

(1) Kernig, C D. Marxism Communism & Western Society Herder Aud Herder. Newyork (1971) P. 63

إن الحقوق الأساسية التى ينص عليها الدستور الروسى للمواطنين فهى كما يلى :

(١) حق العمل (٢) حق الراحة (٣) حق توفير الحاجيات المادية فى أيام العذر أو المرض أو كبر السن (٤) حق التعليم (٥) حق المساواة بين الرجل و المرأة (٦) حق المساواة بين جميع المواطنين الروس بصرف النظر عن امتيازات القومية و الجنسية (٧) حق حرية الضمير (٨) حق الاجتماعات و المظاهرات و الخطابة ، و الصحافة (٩) حق الانضمام إلى المنظمات الاجتماعية (١٠) حق عـــدم التدخل فى الشئون الفردية و العائلية ، و فى المراسلات (١١) حق الالتجاء .

ولكن الدستور الروسى ينص مع ذلك على الواجبات التى تعود على المواطنين الروس ، و هى كما يلى .

١— صيـانة الدستور ، و المحافظـــة على القوانين ، و التفكير فى تنظيم العمل ، و السلوك المعقول فى الواجبات الاجتماعية ، و احترام مبادىء الحيـــاة فى المجتمع الاشتراكى .

٢— صيانة الممتلكات الاشتراكية و دعمها .

٣— الخدمة العسكرية الاجبارية ، و الدفاع عن الوطن .

ولا يوجد فى قائمة حقوق الدستور الروسى حق تأسيس الجمعيات والأحزاب ، يصرح بذلك « ايندرى و شنسكى » يقول :

« وعند ما تمنح الدولة السوفياتية الحرية للمواطنين فانها تلاحظ مصالح الطبقة الكادحة قبل كل شئ ، و من الطبيعى أنها لا تضم إلى هذه الحرية حرية الأحزاب السياسية ، و فى الظروف الراهنة فى روسيا حيث يثق الكادحون بالحزب الاشتراكى كل الثقة ، لا يطلب هذه الحرية إلا عملاء الفسطائيـــة و الوكلاء الخارجيين الذين

لا يهمهم إلا أن يحرموا الطبقة الكادحة من جميع الحريات و يثقلوهم مرة أخرى بالرأسمالية و عبوديتها » (١) .

و لم يعد للحقوق الانسانية أى معنى فى الاتحاد السوفياتى و الدول الشيوعية الأخرى حيث يقوم نظام الحزب الواحد، ويحصل للحزب الحاكم السيادة المطلقة على جميع وسائل الدولة ومؤسساتها، وحيث لا تقوم فكرة الحقوق الأساسية على أسس خلقية وعلى أساس ما وراء الطبيعة، و تملك الدولة حق تعيين الحقوق دون وجود ضمان لتنفيذ هذه الحقوق و الحصول عليها عن طريق العدلية ، ولذلك فلا يستطيع أى مواطن أن يرفع محاكمة إلى المحاكم العامة حال ما يحرم من الحقوق التى ينص عليها الدستور ، إذ ليست هناك محكمة تقبل هذه الدعوى ضد الحكومة التى هى المصدر الأصيل للحقوق والتى تملك الحق الكامل لاصدار الحقوق ونسخها . وكيف يمكن رميها بسلب الحقوق بينما الحق هاهنا هو اسم لرضا الدولة (Will of State) فلاعبرة بأى حق خارج هذا النطاق :

و الفكرة الاشتراكية للحقوق فى الواقع تنبع من الفلسفة الاشتراكية لفكره الانسان فان نظرة المفكرين الاشتراكيين نحو الحياة مادية خالصة يعتبرونها كسائر الأشياء المادية فى هذا الكون فتتعين قيمة الانسان وفق قدرته الانتاجية شأن المحركات الميكانيكية التى تحتاج فى القيام بصلاحيتها الانتاجية العملية إلى الماء والكهرباء والبترول و التعهد المناسب كذلك الانسان يحتاج فى نظرهم لتنمية مواهبه الانتاجية واستخدامها إلى تكفل اللباس و الغذاء و التعليم و التربية و السكن و العلاج ، و هذا التكفل لا يتيسر إلا فى نظام اجتماعى يشتغل جميع أفراده بأداء واجباتهم كعوامل الانتاج فحسب ، و يجمعهم نظام مركزى يشرف على مصالحهم و حوائجهم المادية .

(1) Vyshinsky Andrie Y, The Law of the Soviet State (1943) P. 617

لم يعد الانسان فى هذه الدول شيئاً أكثر من عوامل الانتاج ، وإن بناة هذه الدول الشيوعية لا يعتبرون الدين و الأخلاق و الروح و الايمان و الآخرة و ما إلى ذلك من أمور معنوية إلا مصطلحات اخترعها الرأسماليون و عملاؤهم لاستغلال الجماهير ، يقول لينن :

« نحن ننكر جميع تلك الأخـــلاق التى أقامها الرأسماليون على تعاليم الاله ، نحن نرفض جميع القيم الخلقية التى تقوم على ما فوق النظريات الطبقية و الانسانية ، نحن نقول بصراحة إن ذلك خداع و نحن نعرف أن الفلاحين و العمال يخدعون من أجل مصالح الاقطاعيين و الرأسماليين ، نحن نعلن أن قيمنا الخلقية خاضعة لجهود الفقراء الطبقية ، وأن منبع هذه القيم الخلقية هو مصالح جهود الفقراء الطبقية ولذلك نقول إنها ليست هناك قيم خلقية تقوم على أساس خارج المجتمع الانسانى » (١) .

فالفكرة الشيوعية تحصر الانسان فى إطار المادة و المعدة ، و تقرر أن هدفه الوحيد هو بذل الجهود فى المجال الاقتصادى فحسب ، و لما تعين للانسان هذه المكانة فتأملوا فيم تنحصر حياته و حول أى شئ يدور سوى الغذاء و اللباس و المسكن و العلاج ، و أى حق يبقى له سوى هذه الحقوق ؟

فاذا كانت الدول الاشتراكية تضمن هذه الحقوق المادية وحدها و لا تعترف بأى حق قائم على أساس القيم الخلقية فلا شك أن ذلك نتيجة طبعية لنظرتها نحو الحياة ، فما لم تتغير وجهة نظرها نحو الانسان لا يرجى منها أن تقوم بتوسعة نطاق الحقوق الأساسية له .

(1) Marx & Engels Selected Correspondence Progressive Publishers. Moscow (1965) P. 423

الدّعوة الإسلاميّة

المنكرات تهد كيان المجتمع

سماحة السيد الدكتور عبد الله بن عبد القادر بلفقيه العلوى

(مالانج اندونيسيا)

ما رأيت معولا يهدم بناء المجتمع ويهد كيان الأمم و يعرضها لخطر التحلل ثم خطر الفناء مثل شيوع المنكرات فيما بينها ، و المنكرات بطبيعتها تأخذ بالناس عن طريق الخير إلى طريق الشر و تسلبهم تقدير القيم الكريمة التى يسوسون بها أنفسهم . و يشيدون على أساس منها صروح عزتهم ، والمنكرات أشبه شئ فى سرعة التنقل و الشيوع بجراثيم الأمراض لا تلبث إذا وجدت فى مكان ما أن تنتقل و تنتشر و تعم و تعمل عملها فى المجتمع كله ، و بذلك تنقلب حياة المجتمع رأساً على عقب ، تتعرض فيها الأمراض للانتهاك والأموال للاستلاب والحقوق وللضياع .

و ليس من شك فى أن أمة يكون مصيرها هذا المصير لا تعرف شيئاً من نسمات الأمن و الطمأنينة و لا من بواعث الاستقرار و السكينة ، و بذلك ينحل ما بين أفرادها من روابط ، و تنساق فى سبيل الانفرادية الخاصة ، لا يهمها سوى شهوات تقضى وانفعالات تحتدم .

و ليست المنكرات من الشئون الغامضة حتى تحتاج إلى تعريف أو توضيح وهى تكاد تحكم الطبيعة الانسانية البريئة ومقضيات الاجتماع الانسانى الذى يقرر حاجة الناس إلى الناس ، تكاد تعلن عن نفسها بنفسها و بآثارها ، و قد آزرت الشرائع السماوية على تعدد مراحلها الطبيعة البشرية فى الاعلان عن كثير من صورها ، أرشدت إلى ذلك فى الأنفس و الأموال و الأعراض والحقوق و سائر الواجبات

و كان الاعتداء على شئ من ذلك فى نظر الشرائع منكراً يقف بالحياة الفاضلة عن السير فى طريق التقـــدم و الكمال و يردها إلى مهاوى التهلكة و بور الانتكاس ، و جدير بقادة الأمم و رجال التربية و التهـــذيب فيها أن يعنوا العناية كلها بتدقيق النظر فى صور ما يمس المجتمع من خلال السوء و طريق الغش و الخديعة وأساليب الشقاق التى كثيراً ماتتخذ ستاراً لغرس بذور المنكرات فى مناحى الحياة جدير بهم ألا يندفعوا وراء بريق يزين للناس المنكر بزينـــة المعروف فيستباح المنكر باسم الحرية و باسم التقدم ، و ما كان المنكر فى طبيعـــته و آثاره إلا طغياناً تتحلل به معانى الحرية ، وحجر عثرة أمام التقدم ، وكثيراً ما تلوى النظرات الخاطفة أى التقاليـد الوافدة نظرات الانسان عن حقيقة ما يرى أو يعمل ، فيظنـــه خيراً و هو شر ، و يظنه تقدماً و هو تأخر ، و يظنه حرية و هو فوضى و انحلال .

لهذا كله هنى الاسلام فى مرحلته الأخيرة وصورته التى ظهر بها على عهد خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ بهذا الجانب عناية قوية كاملة ، وكان لمكافحة منكرات فى نظره ، و هو الذى قضت الحكمة الالهية بارشاد الانسانية إليه وهى فى مراحل الكمال البشرى ، ذلكم الكمال الذى يتجه إلى الحياة الجماعية و يأخذ بالناس عن طرق الآحادية إلى وحدة الجماعة التى تتبادل أفرادها فى ظلها بواعث الاجتماع و الألفـــة و المحبة و الصفاء ، كان لمكافحة المنكرات فى نظره بهذه الاعتبارات مكانة تجلت فى القرآن الكريم و فى إرشادات الرسول عليه السلام ، و لا يجعل لأحد نصيباً فيها و لا حظاً منها سوى الآمرين بالمعروف و الناهيين عن المنكر و الداعين إلى الخير « و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (آل عمران ١٠٤) .

بينما يحصر القرآن المفلحين فيمن يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر نراه

يجعل الأمر بالمعروف شأناً من شئون الايمان ، و لازماً من لوازمه لا يوجد إلا به ، ثم يقدم فى ذلك على الواجبات الدينية العينية الأخر و يقرنه بالذكر من عموم طاعة الله و رسوله ، و أنظر ذلك فى مثل قوله تعالى « و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر و يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة و يطيعون الله و رسوله أولئك سيرحمهـــم الله إن الله عزيز حكيـــم » (التوبة - ٧١) .

و بينما يضعه الوضع من أصول الدين نراه يضع الأمة التى تقوم به و التى تعتمد عليه فى التوجيه فى المستوى العالى و القمة الشامخة من الفضل والكرامة « كنتم خير أمـــة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله » (آل عمران ١١٠) .

و بينما يقف هـذه المواقف كلها فى الجانب الايجابى للنهى عن المنكر يقول فى الجـــانب السلبى « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود و عيسى بن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » (المائدة ٧٨ - ٧٩) .

و قد قص علينا حادثة أهل القرية التى كانت حاضرة البحر حينما اعتدوا على أمر الله فى تحريم الصيد يوم السبت واستباحوه فى ظل حيلة تفتقت عنها حيلهم و مكرهم فى إشباع نهمهم بالحصول على ملء بطونهم ، و كان مما قاله فى هذا الشأن « فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء و أخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس ما كانوا يفعلون ، فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين (آل عمران ١٦٠)

و هكذا وقف القرآن من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فى جانبـــه ، و كما وقف القرآن هكذا من الأمر (بالمعروف) و النهى عن (المنكر) وقف منه الرسول بالأحاديث الصحيحة هذا الموقف عينه ، فمنها ما روى عن أبى بكر الصديق

رضى الله عنه أنه قال « يا أيها الناس أنكم تقرأون هذه الآية وتأولونها على خلاف تأويلها « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابه » (١) .

و فى هذا الحديث توجيه إلى شأن طبيعى فى شيوع المنكرات قد سبق أن أشرنا إليه ، ذلك أن المنكرات كما قلنا أشبه بجراثيم الأمراض المعدية فى انتشارها و تنقلها و التأثر بها فاذا وجدت كفاحاً يحجر عليها فى مكانها حتى يقتلها و يبيدها سلم منها موضعها و سلم منها ما وراءه ، و إذا لم تجد كفاحاً و تركت و شأنها اتسعت دائرتها و تفشت فى جميع الأرجاء و قضت على عناصر الحياة ، و عرضتها للفناء و الدمار ، و من هنا كان أثر المنكرات غير خاص بمرتكبيها ، و كان الساكتون عليها عاملين على نشرها و إذاعتها ، و بهذا القدر من الموقف السلبى يكونون أهلا لحلول العقاب بهم ، و إصابتهم بما يصاب به المباشرون لها .

و لعل أول ما يدل على هذا فى تقرير السنن الاجتماعية قوله تعالى « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » (الأنفال ٢٥) وقوله « كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه » (المائدة ٧٩) و هو ليس كما يظن أخذ للبريئ بجريرة المذنب و إنما هو أخذ للذنب بجريمة ذنبه ، فالذنب ذنبان ذنب يصدر عن شخص و هو العمل نفسه ، و ذنب يصدر عمن يعلم هذا الذنب ويقدر على مكافحته ، ثم هو طمعاً فى ماله أو مكانه يبعد بنفسه عن مكافحة هـذا الذنب ، و بذلك يكون شريكا فى العمل على نشره و إساءة المجتمع به ، و قد كان من أصول هذه المسئولية مسئولية السكوت عن مكافحة المنكر مع القدرة عليه ما أرشد إليه الرسول فى واجب المسلم

(١) رواه أحمد فى مسنده ج ١ ص ٧ مطبعة المكتب الاسلامى بيروت .

حينما يرى المعروف يترك والمنكر يرتكب « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، و ذلك أضعف الايمان » (١) .

و بذلك قيست درجات الايمان بمراتب القدرة على كفاح المنكر وكان كفاحه على درجات متفاوتة فهو على صاحب السلطان أقوى و أوجب لأن الله قد وضع فى يده سلطان التأديب ووسائل الزجر بما شرع من عقوبات و بما فوض إليه من تعزيرات وهى المرتبة الأولى من مراتب التغيير ، وأبرز أهلها الحكام المهيمنون ، فهم وحدهم القادرون على التغيير العملى العام ، ثم يلحق بهم رب الأسرة فيمن يلى من الأبناء و الأهل فى حـدوده الموسومة له بمقتضى القوانين و الشرائع ، و كذلك المربون و سائر الرؤساء الذين ملكهم القانون شيئاً من صور التغيير العملى ، فالوالد مسئول عن ولده ، و الزوج مسئول عن زوجه ، و المربى مسئول عمن وكلت إليهم تربيتهم ، و الرئيس مسئول عن مرؤسه ، و سيحمل الجميع أمام الله ذنوب من يسألون عنهم « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة و من أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون » (النحل ٢٥) و ليس الاضـلال خاصاً بالايقـاع فى الضلال و إنما هو بعمومـه يتناول عدم الوقوف أمام الضال فى طريق ضلاله .

(١) رواه أحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه ج ١ ص ٢٤١ مطبعة الشعب ، وفى مطبعة مصطفى الحلبى ج ١ ص ٣٨ ، والأربعة باسناد صحيح عن أبى سعيد و إليك السند ، ثنا أبو بكر بن أبى شيبه ثنا وكيع عن سفيان ثنا محمد بن المثنى عن محمد بن جعفر ثنا شعبة كلاهما عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان فقام إليه رجل فقال الصلاة قبل الخطبة فقال قد ترك ما هنالك فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله ﷺ يقول : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده إلخ .

و لو أنك رأيت أعمى اعترضته بئر فى طريقه ، ولو ترك لتردى فيها وكنت قادراً على رده عنها ، ثم تركته حتى تردى وهلك لكنت مسئولا عنه بحكم القوانين و الشرائع ، و ما ترك المذنب يتوغل فى ذنوبه حتى تقضى عليـــه بأقل شأناً من ترك الظمآن تقتله شدة الظمأ و فى يد أخيه الانسان ماء يطفىء به غلته ، و يقتل ظمأه ويرده إلى حياته ، و قد غرم عمر رضى الله عنه مثل هذا الانسان دية الظمآن حين مات بظمئه و لم يقدم له أخوه الماء .

و أما المرتبة الثانيـــة من مراتب التغيير فهى مرتبة الوعظ الحسن النافذ للقلوب المؤثر فى النفوس ، مرتبة التغيير بالقول ببيان أثر المنكر فى حياة الشخص و فى صحته و فى كرامته و مكانته ، و فى رضا الله و المجتمع عنه ، و تلك مرتبة تطالب كثيراً من الحكمة حتى تقع فى دائرة قوله تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة » (النحل - ١٢٥) كما تتطالب أن يكون المغير للمنكر ذا عناية خاصة بنفسه تجعل منه لقومه قدوة حية حسنة ينقادون له ويطيعونه فى دعوته و وعظه ، و ما فشل توجيهنا و تدهورت دعوتنا إلا حينما جعلناها مهنة و حرفة نوديها بحكم التكاليف ، و بحكم أنها وسيلة من وسائل العيش ، هذا الموضوع الذى صار إليه توجيهنا جعلنا نقف فيه عند رسوم و صور لا قدرة لها على التغلغل فى القلوب ، جعلنا نقف فيه عند طوائف معينة ليس لها من الجاه ما نطمع فيه أوفى شئى منه .

وأبرز هذه المرتبة رجال الدين ، و رجال التربية ، و الاذاعة و الصحافة و النشر و هؤلاء جميعاً مسئولون أمام الله و أمام المجتمع عن موقفهم من المنكرات و كلهم أرباب تغيير بالقول فعليهم إذا أرادوا أن يكونوا أداة توجيه للأمـــة أن يتحلوا بالحكمة و وسائل التوجيه القيمة التى يكون لها أثرها الطيب فى طهر المجتمع

من المنكرات المزرية التى لا تخفى عليهم ، و التى ينوء بحملها كاهل المجتمع و التى تخشى أن تقترب به من الهوة التى تبعده عن معانى الحياة الفاضلة .

أما من يعجز عن التغيير بالفعل و بالقول فليس شأنه أمام المنكرات شأناً سلبياً يغض عينيه و يسد سمعه ويحوقل فى بيته أو مكتبه كما يزعمه كثير من الضعفاء المتواكلين الذين يفهمون قوله عليه الصلاة و السلام فى هـذه المرتبة « و من لم يستطع فبقلبه » على أن المقصود منها خصوص الانكار بالقلب دون أن يكون لهذا الانكار أثر إيجابى ، فان هذا الانكار السلبى لا يصدق عليه تغيير ، وقد سبق نوع من التغيير كما هو واضح من عبارة الحديث و هو فى واقعه من مقتضى أصل الايمان ، و أن من لم ينكر المعصية بقلبه لا يكون مؤمناً بأنها معصية ، و إنما سبيل الانكار بالقلب قطع الصلات التى تربط المؤمن بهذا المرتكب فلا يجالس و لا يعامل و لا يواكل ، و لا يعان ، و لا تقضى له الحوائج ، وملاك ذلك كله أن يقاطع مقاطعة تامة يشعر فيها بعزلته و أن المجتمع قد لفظه .

و لما كان هذا التغيير لا ينتفع به إلا خاصة المرتكب و ليس له أثر بارز يعم الناس جميعاً يرونه بأعينهم و يسمعونه بآذانهم كان أدنى المراتب ، و كان من أضعف الايمان .

هذه مكانة الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فى نظر الاسلام الحريص على حياة أهـــله ، و هذه مراتب التغيير التى جعلها الرسول وسيلة لتطهير المجتمع من المنكرات . فهل لنا أن نطمع فى أن يعرف الدعاة واجبهم و أن يعرف كل مسئول مرتبته التى يقدر عليها فى التغيير و أن يقوموا جميعاً بتعبئة عامة شاملة ليطهروا المجتمع ويذودوا عنه عوامل الشر والفناء ، ونرجو ذلك ، و نرجو أن يكون قريباً .

مراعاة نفسية المخاطب فى عرض الدعوة

الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى
« تعريب » الأستاذ نورعالم الندوى

كما أن البذرة - مهما كانت صالحة - تحتاج فى نمائها إلى صلاح الأرض، وطيب التربة و ملاءمة الطقوس ، فكـذلك كلمة الحق - رغم أنها تحمل فى داخلها تأثيراً طبيعياً - تحتاج إلى أن يراعى الداعى - عنـد عرض الدعوة - أوضاع المخاطب النفسية ، فان القلوب و النفوس تختلف إقبالا و إدباراً ، وتقدماً و تخلفاً ، ورغبة و إعراضاً ، بفعل المـلابسات و الأحوال التى تناوبهـا ، كاختـلاف المواسم والفصول تماماً فى الملاءمة لشئ ما أو عـدم الملاءمة له . . إذن فيجب على العامل فى مجال الدعوة الاسلامية أن يكون على معرفة تامة ، وخبرة عميقة بهذا الاختلاف الذى يواكب القلوب ، كمعرفة الفلاحين و المزارعين باختلاف المواسم و ملاءمة الفصول لأنواع البذور و الزروع .

و من يجانب هذا المبدأ الطبيعى - سواء من أجل السذاجة ، أو من أجل حسبانهم أن على الحق مسحة من جمال ذاته تستقطب الأنظار و تجـذب القلوب ، فلا حاجة إلى العناية بهذا الجانب - إنهم يجنون مكاسب هـذا الاهمال فى صورة إخفاق الدعوة ، و ذهاب الجهود سدى ، و لا يغنيهم هنالك إخـلاص النيـة و حسن الطوية .

عشرة مبادىء فيما يتصل بمراعاة نفسية المخاطب :

ما يواجهه الداعى فى التعرض لأخلاط الناس ، و فى تنويع الكلام نظراً إلى نفسياتهم و استخـدام اللباقة و الذكاء فى أنواع المواقف ، لا يمكن تفصيله ، و لا يسعنا أن نأتى عليه جميعاً فى هذا المقال الموجز ، لكنه يمكن استنباط بعض الأمور المبدئية من خلال المنهج الدعوى النبوى ، و ما كان يتلقاه الأنبياء فى هذا المجال من توجيهات ربانية مباشرة ، و سوف نحاول عرض بعض هذه الأمور المستنتجة منها حسب الامكان ، و سيمكن الداعى أن يتوصل فى ضوئها إلى مبـادىء أخرى يستخدمها فى مواقفـه الدعوية ، لأن ذلك فى الواقع يتعلق بالفهم الانسانى العام ، فاذا كان الداعى سليم الطبع ، مخلص النيـة يعرف غايتـه الدعوية ، و أغوارها و أبعادها ، فسيستطيع - إذا وضع هـذه الأمور العدة التى نحن فى سبيل إبانتها نصب عينيه - أن يحدث فى مدة قصيرة تشابهاً كبيراً بين منهجه الدعوى وبين منهج الأنبياء الدعوى ، و هاتى الأمور المبدئية كما يلى :

المبدأ الأول :

إن لشئ واحد جوانب عديدة يكون فى بعضها سهلا سائغاً وفى بعضها صعباً مراً ، فلو عرضته على رجل لم يجربه من جانبه الأول ، ليرغب فيـه ، أو على الأقل لا يرغب عنه ، أما إذا تقدمت به إليه من جانبـه الثانى ، فسيفاجأ بشئ جديد ما عهده ، فينكر له ، و يضرب عنه صفحاً ، و قد لا يميل إليـه أبداً ، و الدين الحق كذلك إلى حد كبير ، إنه جذاب للغاية - من بعض نواحيه - للناس مهما كانوا أجانب لا يمتون بصلة ما إليه ، فلو قدمته إليهم - من هـذه النواحى - لسوف يقبلون عليه ، ويتلقون شيئاً فشيئاً كل أجزائه ونواحيه مهما كانت صعبة عليهم و إنه قد صعب على كثير من المستأنسين به أيضاً من بعض جوانبه ، فلو أرغمتهم

على الخضوع له يأبون و يلحون و يتمادون ، فضلا عن أن يرغبوا فيه .

و كل من لا يلاحظ هذه الحقيقة ، و لا يعرف الجانب الذى منه يعرض الشئ على من ليست له رغبة فيه ، فهؤلاء يؤدون ضريبة هـذا الجهل فى صورة الفشل ، و تتوسع الفجوة بينهم و بين الناس ، و يزدادون بعداً عن الدعوة التى عرضوها عليهم على حساب الاقتراب منه و الميل إليه ، وتفادياً من ذلك قال النبى ﷺ : « بشروا ولا تنفروا » وقال : « إنما بعثتم ميسرين و لم تبعثوا معسرين » .

المبدأ الثانى :

أن يتجنب كل ما من شأنه أن يثير فى المخاطب الحمية الجاهلية ، وتحاشياً عن ذلك يجب على الداعى أن يلاحظ ان لكل قوم معتقدات و مثلا و قيماً - فيما يظنه - يحتضنها احتضان الداعى لعقائده و شعائره و دينه ، فاذا أراد الداعى أن يأخذ بيده إلى طريق الحق و الصواب ، فعليه أن يزيل الأسباب التى أوقعته فى سوء الفهم ، و حالت بينه و بين الحقيقة ، و أن يؤسس عملية الاصلاح الذى سيقوم به على توهين العلاقة بين المخاطب و بين تلك المعتقدات الخاطئة ، و حذار أن يحمله الحماس الدعوى ، و العاطفة الدينية أن يوجه الضربات مباشرة عليها ، تفادياً من أن ينفذ فى عقله و فكره ، فيصحح الأسباب الفكرية التى سببت له هذه العلاقة بالباطل .

لأن هذا التعرض المباشر للمعتقدات الباطلة لدى المخاطب يؤدى إلى نتائج وخيمة ، حيث تنبعث فى نفسه الحمية الجاهلية و العصبية العمياء لما يعتقده من الشعائر و الطقوس و العوائد ، فيتحمس له ، و يقف فى طريق الدعوة ، و ربما يبلغ به التحمس إلى أن يستقبل الداعى بكل ما يجده من أسباب الايذاء والاهانة ، والشتائم ،

و هذه الآية التالية من سورة الأنعام تؤكد على الداعى التحاشى عن أمثال هذه الطرق الموحشة :

« و لا تسبوا الذين يدعون من دون الله ، فيسبوا الله عدواً بغير علم ، كذلك زينا لكل أمة عملهم (١) » .

و قد أمر القرآن الكريم فى موضع آخر بما يشابه التوجيه الأول فى الآية التى تلوتها ، و هو أن يلاحظ الداعى أن لا يتعدى حديثه إلى ما لا يعنيه فى تقريب الدعوة إلى فهم المخاطب ، و أن يركز عنايته على الهدف وحده ، فلئن تعرض المخاطب لما يؤدى إلى الخصام ، و إلى معرض التفضيل و الترجيح فيما بين زعماء و قادة الطرفين ، فهنالك يتحتم على الداعى أن يسعى جهده أن يعود بالمناقشة إلى الجهة الصحيحة ، و أن لا ينحرف مع التيار المنحرف ، و أن يقف من زعماء الخصم و قادته موقف الاكرام و الاحترام ، متفادياً من التعرض لما يقلل من شأنهم .

« و قل لعبادى : يقولوا التى هى أحسن ، إن الشيطان ينزغ بينهم ، إن الشيطان كان للانسان عدواً مبيناً ، ربكم أعلم بكم ، إن يشأ يرحمكم ، وإن يشأ يعذبكم ، و ما أرسلناك عليهم وكيلا ، و ربك أعلم بمن فى السماوات و الأرض ، و لقد فضلنا بعض النبيين على بعض ، و آتينا داؤد زبوراً (٢) » .

و مهما كان فان الآية الكريمة تعنى أن يتجنب العامل فى حقل الدعوة عن كل ما يثير فى المخاطب العصبية الجاهلية ، و يضع به على طريق التمادى و اللجاجة و المعارضة .

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٠٨

(٢) سورة بنى إسرائيل ، الآيات : ٥٣ - ٥٥ .

المبدأ الثالث :

من الناس من يتعود على أن يفخم له الخطـــاب ، و أن يراعى المتكلم فى الحديث معه جوانب عظمته ، و قد يبلغ بهم هذا الشعور إلى أن لو جانب المتكلم هذا الأسلوب فى الحديث ، لينبعث فى نفوسهم الأنانية و الاباء ، فيحول ذلك بينهم و بين الاقبال على الحق ، فيجب على الداعى أن يلاحظ فيهم نقطة الضعف هذه ، إلى حد ممكن ، حتى لا يحدث هناك سبب جديد من أجل صنيع الداعى - بجانب هوى المخاطب - يمنعه من قبول الحق ، و رؤية الحقيقة ، و لهذا الغرض أمر الله عز وجل موسى و هارون عليهما و على نبينا الصلاة و السلام بما يأتى .

« اذ هبا إلى فرعون ، إنه طغى ، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى (١) » .

إلا أن ذلك إنما يجوز إلى حد أن لا يتعارض مع مكانة الحق و شخصيـــة الدعوة التى يقوم بتبليغها ، لأن القرآن نفسه منع منه بكل صراحة .

المبدأ الرابع :

و لا يفوتن الداعى أن يلاحظ لدى عرض الدعوة على المخاطب استعداده للتلقى ، و رغبته فى القبول و مقدار أهليته للاساغة والفهم ، كالطبيب النطاسى الذى يلاحظ - فى تشخيص الداء و وصف الدواء و تحديد كميـــة واجبات الدواء التى يتناولها المريض من المريض و طبيعته و شدة مرضه و خفته ، ولكى يعرف ذلك حق المعرفة يحتاج إلى أن يستعرض مايحمله المريض من المزايا القومية وما يواكبه من الملابسات الفردية بالاضافة إلى أن يعرف مدى أهليته الجزئية وموهبته النوعية و لا يرجى نجاح دعوة ما لم يراع الداعى فى صددها هذه الأمور كلها ، و لنفس

(١) سورة طه ، الآية : ٤٤ .

الحكمة نزل القرآن الكريم منجماً فى أزمنة مختلفة « وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ، و نزلناه تنزيلا » .

وكذلك يدل القرآن الكريم على أن الدعوة القرآنية راعت فى شتى كثير من أمورها طبائع العرب ، فمثلا : بما أنهم كانوا « قوماً لداً » فاختار القرآن لمناقشتهم طريقاً يتفق ومثل هذا القوم ، وكذلك النبى ﷺ كان يعرض الدعوة على الأعراب بأسلوب يختلف كل الاختلاف عن الأسلوب الذى كان يستخدمه مع المتحضرين من أهل مكة و المدينة . . فهذا وفد عبد القيس يشكو إلى النبى ﷺ أنه يحول بينهم وبين الاتيان إليه ﷺ هذا الحى من قريش ، فلا يتمكنون من التخلص إليه ﷺ إلا فى الأشهر الحرم ، فيطلبون إليه أن يأمرهم بالأمور المبدئية التى يتشبثون بها هم و يدعون إليها من حولهم من القبـــائل ، فيأمرهم ﷺ - نظراً إلى أوضاعهم و ضروراتهم - بأمور أربعة و ينهاهم عن أربعة ، و يعهد إليهم بتبليغها فى قومهم . إذاً فالنبى عليه صلوات الله و سلامه يتحرز عن وضع التفاصيل أمامهم ، و يكتفى بقدر الحاجة .

و واضح أن هذا الأسلوب الدعوى إنما تناوله - عليه الصلوات و السلام - نظراً إلى نفسية الوفد ، وقوتهم على الاحتمال ، وأهليتهم للتلقى و التطبيق وملاحظة لقضيتهم التى كانت ساذجة ، و حاجتهم التى كانت متواضعة .

المبدأ الخامس :

و على الداعى أن يتفادى من تقـــديم الدعوة إلى المخاطب إذا رآه يميل إلى الاعتراض و الانتقاد فحسب ، و إذا عرض عليه الدعوة ، و جعل ينصب عليها بالنقد ، و النيل منها ، والاستخفاف بشأنها ، فعليه أن ينهى الحوار معه ، ويضرب عنه صفحاً ، و يتركه و شأنه و يجلس يترقب الفرصة ، و ينتظر الوقت المناسب

يعود فيه المخاطب إلى هدوء و صفاء و تماسك .

«وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا ، فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، وإما ينسينك الشيطان ، فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين (١) » .

و تتضمن الآية النهى عما يفعله المناظرون من متابعة الخصم و « الخوض » معهم ، حتى فى موقف حرج .

المبدأ السادس :

و كذلك ينبغى أن يتجنب الداعى عرض الدعوة إذا كان المخاطب مشغولا بشأنه ، منقطعاً إلى أمر حبيب لديه يعز عليه أن يرغب عنه إلى الدعوة ، و إن كان هذا الموقف يختلف عن الموقف الذى تحدثت عنه فى السطور الماضية - حيث لا يقترن هذا الموقف بالعناد والتمادى - لكن كليهما يتساويان فى أن المخاطب لا يستعد للاستماع و التلقى .

جاء فى صحيح البخارى مروياً عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما :

« عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : حدث الناس كل جمعة مرة ، فان أبيت فمرتين ، فان أكثرت فثلاثا ، و لا تمل الناس هذا القرآن ، و لا ألفينك تأتى القوم و هم فى حديث من حديثهم ، فتقص عليهم ، فتملهم ، و لكن أنصت فاذا أمروك فحدثهم و هم يشتهونه » .

المبدأ السابع :

و لا يفوتن الداعى أن يلاحظ أن لا يتسبب ملل المخاطب و سآمته من أجل التكرار المسرف ، أو الاطالة التى لا حاجة إليها ، أو الأسلوب الكلامى الواحد الذى لا يتنوع و لا يتجدد و يجرى على نسق واحد جاف ، و فعلا كان

(١) سورة الأنعام : ٦٨

رسول الله ﷺ و صحابته رضى الله عنهم يلاحظون ذلك ملاحظة دقيقة :

« عن شقيق قال : كان عبد الله بن مسعود يذكر الناس فى كل خميس ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن لوددت لو أنك ذكرتنا فى كل يوم ، قال : أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملكم ، و إنى أتخولكم بالموعظة ، كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا » . (متفق عليه)

المبدأ الثامن :

وعلى العامل فى حقل الدعوة ، أن يكون على أهبة تامة لبذر الدعوة كلما واتته فرصة ، و أن يكون ملحوظاً لديه أن لا تفوته فرصة ، و لا تضيع عليه مناسبة و خير مثال لذلك ما صنعه سيدنا يوسف عليه و على نبينا الصلاة و السلام ، و قد حكاه القرآن الكريم مفصلا :

« و دخل معه السجن فتيان ، قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمراً ، و قال الآخر : إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً ، تأكل الطير منه ، نبئنا بتأويله ، إنا نراك من المحسنين ، قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ، ذلكما مما علمنى ربى ، إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ، واتبعت ملة آبائى : إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس و لكن أكثر الناس لا يشكرون ، يا صاحبى السجن ! أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ما تعبدون من دونه إلا أسماءاً سميتموها أنتم و آباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم و لكن أكثر الناس لا يعلمون ، يا صاحبى السجن ! أما أحدكما فيسقى ربه خمراً ، و أما الآخر فيصلب ، فتأكل الطير من

رأسه ، قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » (١) .

إرجع إلى الآية و اقرأها ، و تمثل الموقف بكل تفاصيله : هناك رجلان يدخلان السجن ، و يريان فى المنام رؤيا عجيبة ، فيتوقان إلى الاطلاع على الحقيقة التى تنطوى عليها هـــذه الرؤيا فيريان يوسف عليه السلام من بين هؤلاء السجناء الرجل الوحيد الذى يمكن أن يسعفهم بالحاجة فيعرضانها عليه و هما يكنان له كل الاجلال و الاكبار ، و التقدير و الاعجاب ، و لكن يوسف عليه السلام لايسرع فى الاجابة ، و لا يكتفى بارضاء الحاجة ، و لا يستغل هـــذه الفرصة فى تضخيم شخصيته أمام أعينهما ، أو فى كسب إعجابهما ، أو فى نيل المصالح الذاتية ، بل يقدر هذه اللفتة الكريمة الثمينة من الرجلين ، فيستخدمها فى نشر الدعوة .

و ينفذ إلى الغرض من خلال الأسلوب الذى ينم عن أن الكلام الدعوى تفرع من صميم الحديث الذى بدأ فيه من أجل تأويل الرؤيا ، و لم يقصده توآ ، مما يدل على أمرين : الأول أنه ينبغى للداعى أن يترقب الفرصة لنشر الدعوة ترقب الفلاحين لنزول المطر و اعتدال الجو ، و مواتاة الطقوس ، والثانى أنه إذا أتاحه الله فرصة ما تلائم عرض الدعوة ، لا يجوز له أن يدعها تضيع هدرا ، بل يتبادر إلى أن يستعملها فى أكبر غاية و أعظم هدف .

المبدأ التاسع :

يجب على الداعى أن يلاحظ - لدى الحوار - مكانة المخاطب ، و ذلك لأن الأسلوب الذى يستخـــدم فى الحديث مع العالم يختلف اختلافاً واضحاً عن الأسلوب الذى يجدر بالكلام مع الرجل العادى أو الجاهل ، و لذلك أمر الله سبحانه وتعالى

(١) سورة يوسف ، الآيات : ٣٦ - ٤١

أن يكون عرض الدعوة على أهل الكتاب بالأسلوب الآتى :

« و لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا : آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون» (١)

دلت الآية على الاطار الذى يضعه الداعى أمام المخاطب المثقف ، و هو أن يعرض عليه المبادىء المشتركة بينه و بينه ، مما يحدث نوعاً ما من العلاقة الودية ثم يتقدم إليه بالنتائج التى تستلزمها ، و إذاً فهو يظن أن الداعى لا يعرض عليه شيئاً جديداً ، فيرغب إلى التفكير ثم الاقبال ثم القبول و الاذعان للحقيقة .

المبدأ العاشر :

إذا آنس الداعى من المخاطب اللجاجة والتمادى ، فعليه أن يتفادى بكل حيلة ممكنة مما يزيده إلحاحاً على الغى و زهداً فى الحق ، و يسعى جهده أن يعرض عليه الحق بأسلوب لبق يسد عليه منافذ التمادى ، و يفتح عليـــه آفاقاً من الخير و الرشد ، و يجعله مبهوتاً لا يجد حيلة للتخلص من الموقف ، و لا يجد جواباً إذا كان قد جبل على البلاهة لا يملك أهلية التمييز بين الخير و الشر أصلا ، و قد سجل القرآن الكريم حواراً جرى بين إبراهيم عليـــه و على نبينا الصلاة و السلام و بين ملك معاصر له ، و هو خير مثال لما نحن بصدد إبانته :

« ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك ، إذ قال إبراهيم : ربى الذى يحيى و يميت ، قال أنا أحيى و أميت ، قال إبراهيم : فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بهـــا من المغرب ، فبهت الذى كفر ، و الله لا يهدى القوم الظالمين (١) » .

(١) سورة العنكبوت ، الآية ٤٦

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٨

انظر : إن الدليل الذى قدمه إبراهيم عليه السلام ، لم يتزعزع من ثورة الملك ، و كان لابراهيم عليه السلام أن يعرضه عليه مرة ثانية و يتتبعه و يرغمه على الاجابة الصحيحة المقنعـــة ، لكنه لم يصنع كل ذلك ، لأنه كان يتعارض مع الطريقة الحكيمة التى أمر القرآن الحكيم بالالتزام بها «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتى هى أحسن » . و لاسيما بعـــد ما عرف نفسية المخاطب ـ الملك ـ و ما طبع عليه من اللجاجة فى الباطن و الاصرار الأكيد على الشر .

« بقية المنشور على ص ٧٤ »

٤ـ التعاون : و هو ينبعث و ينبثق من المؤدة و الرأفـــة و الحب و الاخلاص و يضطر الانسان إلى دفع الشدائد والمضار و الشر ، و هكذا إلى جلب المصـالح والمنافع والخير بين أفراد المجتمع ، قال الله تعالى : « وتعاونوا على البر و التقوى و لا تعاونوا على الاثم و العدوان» (١) و قال عليه السلام : « من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته (٢) انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال ، رجل يا رسول الله ،أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً قال تمنعه من الظلم ، فذلك نصرك إياه (٣) « ما من امرىء مسلم يخذل امرءاً مسلماً فى موضع ينتهك فيه حرمته و ينتقض فيه من عرضه إلا خذله الله تعالى فى موطن يحب فيه نصرته وما من أمرى مسلم ينصر مسلماً فى موضع ينتقض من عرضه و ينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته (٤) »

---

(١) المائدة الآية ٢

(٢) البخارى و المشكاة باب الشفعة (٣) المسلم و المشكاة باب الشفعة

(٤) أبو داود و المشكاة باب الشفعة

افتراءات حول السنة

[مقال قيم لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله نشر فى مجلة لواء الاسلام بالقاهرة (محرم ١٣٨٦هـ) رداً على مجلة « العربى » التى رفعت إذ ذاك لواء التشكيك فى السنة ، و نعيد نشره الآن لأن أصواتاً جديدة بدأت تنبعث من بلاد عريقة فى الاسلام ـ وقد تولى كبرها معمر القذافى ـ تواصل نفس النغمـــة عن جهـــل بعض الحين ، و عن قصد أكثر الأحيان]

لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة

علمنا أخيراً أنه وجد فى بعض البلاد العربية المؤمنة المطمئنة الشاكرة لأنعم الله تعالى عليها ، من يشكك النـاس فى أحاديث الآحاد ، و اتخذ لذلك طريقاً غريباً هو أن يشكك فى الصحاح التى جمعت السنة و جامعيها ، وعلى رأسها شيخ المحدثين البخارى و قد اطلعنا على ما كتبوا أولا و على ما كتبوا آخراً و ما كتبوه أولا حكمنا فيه و علقنا عليه و بينا الحق فى عبارات رفيقة ، و إن كانت قاطعة حاسمة لأنا ظننا أنهم مخطئون يطلبون الصواب .

وقد أخذ الله تعالى عهداً على الذين يعلمون علماً ليبينه للناس ولا يكتمونه ، و كان حقاً علينا أن ندعوهم إلى الصواب بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما قال تعالى :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة » ، و نطلب الهداية والتوفيق ، و فرضنا حسن الظن فى المقصد و الغاية لأن النبى ﷺ أمر المسلم بأن لا يظن بالمسلم إلا خيراً ، فكان هذا الظن حتى يقوم الدليل على غيره .

أما قوله الثانى ، فقد تكشف فيه بعض القصد و الغاية إذ كان يتجه إلى الهدم بدل البناء و يبنى على باطل من القول فى بعض أجزائه و على إهمال للحقائق فى بعضه الآخر . .

و لنبتدىء بما نسب إلينا ، لقد نسب إلينا فى عبارات مبهمة غير واضحة المقصد أننا قلنا أن الصحابة الذين تفرغوا لرواية أحاديث رسول الله ﷺ لم يرووا إلا أسطراً ، و لننقل عبارتهم حتى لا يقال إنا نتزيد عليهم كما تزيدوا علينا وهذه عبارتهم :

« لكن الثابت أيضاً أن الصحابة الذين كانوا قد تفرغوا لاستحفاظ كلام النبى ﷺ لم يحفظوا منه إلا أسطراً كما يقول الأستاذ محمد أبو زهرة فى مستهل كلامه عن البخارى بالعدد ٧٨ من «العربى» فكيف صارت هذه الأسطر ٧٢٧٥ حديثاً عند البخارى ؟ » . . .

و أشهد أنى لا يمكن أن أقول : إن الصحابة الذين تفرغوا لرواية أحاديث رسول الله ﷺ لم يرووا إلا أسطراً مع أن الذين تفرغوا لرواية الحديث كثير منهم أبو هريرة و أبو سعيد الخدرى و غيرهما ممن عكفوا على نقل أحاديث رسول الله ﷺ ، وقد تفرغوا لهذا النقل فى عصر الصحابة كما تفرغ بعضهم لتلقى الأحاديث فى عهد النبى ﷺ حيث شغل كبار الصحابة بالجهاد فهل ينكر محمد أبو زهرة روايات أبى هريرة ، و هو الذى تصدع للدفاع عنه عند ما اتخذه بعض المأجورين من من غير المسلمين أو المأجورين من بعض الطوائف الاسلامية هدفاً مقصوداً بالهدم

ليهدموا الأحاديث . وهل أنكر ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص الذى أمره النبى ﷺ بكتابة الحديث ؟ . ول أنكر ما روى عن على بن أبى طالب وله سند كبير مبسوط فى مسند الامام أحمد ؟ و هل أنكر ما روى عن طريق عبد الله ابن مسعود و عبد الله بن عمر و عبد الله بن عباس وغيرهم من الذين نقلوا أحاديث رسول الله ﷺ إلى الأخلاف وهم الذين اعتمد الفقه الاسلامى على رواياتهم فى شتى نواحيه و أبوابه ؟ . .

ولا أدرى كيف ينسب إلى قول لم أقله ، و لا يمكن أن أقوله و لا يتصور أن أقوله ؟ و ليست المجلة بين يدى لأبين موضع التحريف فى القول و ما اتخذوه أصلا لقولهم إن كان لكلامهم أصل .

وربما يكون فى المقال الذى يشار إليه ما أردنا أن نثبت به أن أقوال الصحابة التى لا يمكن أن يكون للرأى فيها مجال هى من السنة ويؤخذ بها على أنها أحاديث ، أولها قوة الأحاديث المسندة لرسول الله ﷺ ، و على أنه من السنة أقوال الصحابة كما نرى فى البخارى ومسلم وغيرهما - مما سبقهما - كمسند الامام أحمد وموطأ الامام مالك ومسند الامام الشافعى ومسند الامام أبى حنيفة و الآثار لابى يوسف والآثار لمحمد بن الحسن الشيبانى وقد استدل لذلك ابن القيم و أستاذه ابن تيمية ومن سبقهما من كبار الفقهاء استدلوا بأن كبار الصحابة الذين لازموا النبى ﷺ من قبل الهجرة إلى أن قبضه الله تعالى إليه لم يرو عنهم مسنداً إلى النبى ﷺ من الحديث إلا عدداً ليس بالقدر الذى يتناسب مع طول ملازمته ، ولا يمكن أن يكون هذا كل ماعرفوه عن النبى ﷺ بل منه ما رووه معنى ، و منه ما رووه عملا ، و منه ما كان هدياً و الجميع ملتمس من رسول ﷺ و يؤخذ على أنه سنة ، فنحن نوسع دائرة السنة و لا نضيقها تبعاً للثقات من أهل الحديث رواية و دراية فلا نضيقها فى أسطر

كما يدعى الكاتب الذى حرف القول عن مواضعه ووجهه لغير مقصده وسار فى غير سمته ، وكان حقاً عليه ما دام يستشهد بكلام لنا أن ينقل العبارات التى قلناها بنصها ليشرك القارىء فيما يفهمه منها ، و لكى لا يتهم بالتزيد عليها كما نقلنا عبارته عند ما أردنا التعليق ورد تحريفها (١) .

و كاتب مجلة (الرائد العربى) قد أخذ يوهن الأحاديث المروية بطرائق شتى تتكاثف ، و لكنها لا تزيد على أنها ظنون بل تشكيكات ، والظن لا يغنى من الحق شيئاً .

اتجه فى التشكيك إلى ما سلكه المستشرقون فى الطعن على رواية الحديث فقال : إن البخارى و سائر المجامع قد ظهرت فى القرن الثالث « شنشنة أعرفها من أخزم» فقد رددها المستشرقون الذين أرادوا أن يوهنوا الاسلام ، و يضعفوا من إسناده كما ترمى بذلك أباجيلهم و لم يجدوا مساغاً لقولهم فى القرآن فادعوه فى الحديث ، و قالوا : و عليهم إثم ما قالوا أن الأحاديث لم تعرف إلا فى القرن الثالث الهجرى ، يريدون أنها استحدثت فيه ، و أنها لم تكن شيئاً مذكوراً من قبل ذلك ، و يضرب كاتب مجلة (الرائد العربى) على نغمتهم ، فهو بعد أن يزيل عن كتب

(١) وإنا نعتقد أن من حق العلم على صديقنا الدكتور أحمد زكى أن ينشر عباراتنا كاملة فى المجلة التى نشر فيها الكاتب مقالته و أنا نطالب ذلك إليه ، و نعتقد أنه سيجيب ، و هذا حسن ظننا به ، و إن كانت الأخرى فلا حول ولا قوة إلا بالله ، و يكون فى هذه الحال على مجلة الوعى الاسلامى أن تنقل النص من العدد الذى أشار إليه ، و تطالب إلى مجلة الرائد العربى نشره ، و أرجو ألا تكون عباراتنا نشرت مشوهة فنرجو الاطلاع على الأصل المخطوط .

الحديث هالة التقديس أو التقدير التى فيها يغمز فى القول كأساتذته المستشرقين بأن الصحاح قد دونت فى القرن الثالث الهجرى ، و هو يشير بذلك إلى أنها اخترعت كما يقولون : و إن لم يجد الجراءة الكافية لأن يقولها صراحة يصدر عن فكرتها من غير حريجة دينية و لا غيرة إسلامية .

ألا فليعلم - هداه الله تعالى - أن العناية فى الرواية قد وجدت من لدن وفاة رسول الله ﷺ فجاء التابعون وتلقوا أحاديث رسول الله عن شيوخهم من الصحابة و دون كل تابعى ما تلقاه عن شيخه الصحابى ، و لما جاء عصر تابعى التابعين كانت المجموعات من الأحاديث قد ابتدأت تتجمع مادتها ، فكانت الموطآت فى عهد الامام مالك رضى الله عنه ، و كانت كتب الآثار و المسندات ، فجمع مسند أبى حنيفة و كتاب الامام مالك فى النصف الأول من القرن الثانى ، و جمع الشافعى مسنده فى النصف الثانى منه ، و جمع أحمد مسنده فى هذا النصف ، و النصف الأول من من الثالث ، و هكذا كانت جوامع الحديث تجمع من آخر القرن الأول و استوت كتباً قيمة مدونة فيها أحاديث رسول الله ﷺ فى القرن الثانى ، و بلغت الغاية فى القرن الثالث .

و القارىء لكلام المستشرقين ، و على رأسهم طاغوتهم (شخت) يتوهم أن السنة لم تكن معروفة قبل القرن الثالث مع أنها معروفة قبل ذلك فى القرن الثانى ، و أصولها تتبع و تؤخذ فى القرن الأول ، و تمتد جذورها إلى عصر النبى ﷺ ، و لكن هكذا يقول (شخت) و أضرابه فى وسط الأوربيين و الأمريكان ، و كان غريباً أن يقول أتباعه عن غير بينة فى ربوع الديار الاسلامية ، وقد التقينا هذا الطاغوت فى الندوة الاسلامية الكبرى بلاهور ، وكان قد أعد العدة ليقول ترهاته و لكنه ما أن رآنا مع صحبنا الكرام ، حتى فر فراراً و سحب بحثه المزعوم

وامتطى أول طائرة هروباً كما يهرب الخفاش من ضوء النهار الساطع ، و من يعيش فى الظلام لا يمكن أن يعيش فى وضح النهار حيث الشمس مشرقة .

و لنترك هذا الغمز المشكك ، و إن كان يكشف عن النية و يعلن عن الطوية و لننتقل إلى بقية مآخذه على جوامع الحديث للشك فيها جملة ولنترك استشهاده بمن مضوا بأقوال ساقها فلعلها من نوع الأقوال التى نسبها إلينا ، و اقتطع منها ما يتوهم أنه يوافقه أو يؤيده فهى كلمات من وسط كلام لا يفهم إلا بسوق سابقه و لاحقه .

و لنتجه إلى ما ساقه مما زعمه أحاديث ، و ما هو منها فى شئ ، فقد زعم أن هناك أحاديث غير معقولة مثل خبر (اختلاف أمتى رحمـــة) ، و هو ليس بصحيح كحديث - ولا كخبر عن صحابى - و ليس له معنى متفق عليه ، وقد رجع هو عن اعتباره حديثاً بعد أن ساقه كذلك فى مجلة العربى ، وإنا نسأله إذا لم يكن حديثاً ، فلم ساقه و قد نجيب عنه ، فنقول : إنه ساق ليؤدى غرضاً قد راقه وهو التشكيك فى حديث رسول الله ﷺ و كذلك غيره .

وإنه فى سبيل توهين الرواية عن رسول الله ينقل عبارات جاءت على لسان ناس نسب إليهم وضع أحاديث ، قيل إنها أربعة آلاف وقيل إنها عشرة آلاف إلى آخره ، ونسأله من أين نقل هذا الكلام ومن أى كتاب أخذه ؟ إنه نقله عن الناقدين المحققين الباحثين الذين أخرجوا الجواهر الصحيحة من الزيف ، و وضعوا الأسس والموازين لمعرفة الصحيح من غير الصحيح ، و إذا كان يأخذ بكلامهم حجة فلماذا يأخذه فى الأمر الذى يشكك ، و لا يأخذه فى الأمر الذى يحقق ويثبت . ولكنه كالمستشرقين ينقلون ما تهوى أنفسهم نقلا مبتوراً و يتركون مالا تهوى أنفسهم حتى لا يكون فى كلامهم شبهة حق قط .

إن العلماء بسبب كثرة الكذب على رسول الله ﷺ شمروا عن ساعد الجد

و لم يتركوا الحق يضيع وسط المكذوب فدرسوا الرجال و درسوا معانى الحديث و درسوا طريق الرواية ، و كلما كان الكذب أو توهمه كان الاجتهاد فى تعرف الصدق و الصادقين ، و تعرف الصحيح من العليل و كانت الروايات الدقيقة فكان الرجل لا يرى إلا عمن يراه و يعاينه و يعرف حاله من ضبط و صدق وفضل تقى و حسن فهم ، و لقد كان الامام مالك - وجامعه أول جوامع الحديث - يقول : (لا تؤخذ الرواية من أربعة و تؤخذ من سواهم ، لا تؤخذ من رجل يكذب على الناس ، و لا من رجل سفيه ، ولا من صاحب بدعة ، و لا من رجل له فضل تقى ، و لكنه لا يعرف ما يحمل و ما يدع) . و قد وضع كذلك علم هو ميزان دقيق لمعرفة الأحاديث الصحيحة و مراتبها هو علم (مصطلح الحديث) أو علم الحديث دراية و أهل هذا العلم هم الذين يدرسون الأحاديث على ضوء المعقول و المنقول و فى قاعات الفحص و الدرس لوزن ما اشتملت عليه من حقائق و لا يدرسها الذين يثيرون الشك و التوهين فقط على صفحات صحف لا يعلم إلا الله تعالى ما تدعو إليه .

و نختم القول بأن نقول : إن من يشك فى حديث من الأحاديث لا نكفره و لكن من ينكرها جملة أو يشك فيها جملة يهدم الأحكام الشرعية من أصلها و لا يعمل ذلك مؤمن . و قد فصلنا القول فى المقال الذى كتبناه لمجلة (العربى) و نرجو أن تتفضل بنشره .

و الله سبحانه و تعالى هو الموفق و الهادى إلى سواء السبيل ، اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون .

بين الانسان الصناعى و الانسان الحقيقى

(الحلقة الخامسة) الأستاذ محمد تقى الأمينى
مدير القسم الدينى بجامعة على كراه الاسلامية

الانسان الصناعى فى مجتمعه ، و مسؤلياته :

اقتلع الانسان الصناعى جذور المجتمع و حطم مسؤلياته ، لأنه هدم نظام الأسرة و التزاماتها التى هى الحجر الأساسى للمجتمع فلم يبق هناك بناء متماسك وأساس معنوى ورابطة روحية بين أجزائه ، وصار يحس كل فرد فيه بغربة لأنه فقد كل مواساة ومواساة ومناصرة بين أفراد مجتمعه حتى إن بنت صاحب المليون اضطرت إلى البحث عن وظيفة أو عمل تقوم به طلبا للرزق و وسائل الحياة ، و ذلك بمحضر أبيها .

و العلاقة المادية و الاقتصادية التى تبنى على المصالح و الأغراض و المنافع لا تنشئ عواطف الحب و المودة والمروءة ولا تخلق فى النفس مشاعر الاخلاص والرحمة والشفقة والعطف ، بل إنها تثير الانانية البغيضة والنفعية الانتهازية و الصراع الطبقى العنيف وتجعل الهدف الأعلى للحياة «كل وعش» و تحبب إلى النفس عبودية القوة المادية و عبودية العلم و العقل المادى الذى هو فيلسوف ضرير البصر ، فلا يفرق بين الخير و الشر وبين الطيبات و الخبائث ، وبين الحلال و الحرام و بين المعروف و المنكر .

هذا الفيلسوف الضرير لم يدرك الصورة السليمة للانسان ، و بالأخص حقيقة

الروح التى هو كوة من عالم القدس ولم يتطلع إلى دقة شعور الانسان وحساسيته ، و لذلك لم ينجح فى التخطيط و التمييز بين الخير و الشر والطيب والخبيث .

و فوق ذلك اخترع الانسان الصناعى ايدلوجيات اطلقت عنان الانسان وهونت شخصيته وحررته فى تهدئه الانانية البغيضة و تبريد الغلة الجنسية مثل حريته فى شفاء الظمأ من الماء ، لامراقب ولا مراعى لهذه الوضعية الشنيعة على أن المراقب الأصيل و المراعى الحقيقى هو الله تعالى ، و لكن الانسان الصناعى لم يحدث قابلية التأثر فى نفسه وفى مجتمعه ، و ذلك هو الخسران المبين .

وخلق الانسان الصناعى أشكالا و أوضاعاً هيجت الشهوات و نوازع الجنس و شجعت الدعارة و الفاحشة من غير أن يفرض القيود عليها وتضع لها العقوبات الشديدة نكالا للمجتمع قال : « برتوندرسل » أحد دعاة الانحلال الخلقى فى المجتمع الجديد ، وحرية المرأة و استخدام الموانع الحمل (١) ،ولكن المقصود من كل ذلك هو إلغاء القيود و الرقابة و رفعها عن المجتمع ، و إنهاء العقوبات الشديدة على الجرائم الكبرى » .

الانسان الحقيقى فى مجتمعه ، و مسؤلياته :

المجتمع عنده لزوم مدنى و معهد ثقافى و مجال أوسع للحوائج الانسانية و الأسس التى يقوم عليها المجتمع . والدعائم التى ترتبط بها آحاد الناس ، فهى كلها تبنى على المقومات البشرية و القيم العالية و الأخلاق الفاضلة .

والانسان الحقيقى لا ينكر الرغبات ونوازع الجنس و لا الأرباح والأغراض الانسانية ، و لكنه يحددها و يعين وجهتها الصحيحة لئلا تنزلق إلى أسفل درجات و لا تفقد الغاية الأسمى للمواهب و المؤهلات .

(1) Marrace And Morals By Bartrandrussel .

والجوهر الأساسى لنظام المجتمع هو الأسرة التى هى عنده ثروة اجتماعية فيجعل لها مسؤلا لأن « الخلق عيال الله و أحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله ». (١)

نحن نذكر الأسس العامة و الدعائم التى يقيم عليها الانسان الحقيقى الصلات الانسانية و العلاقات الاجتماعية و هى :

١— الكرامة : فهى حق البشر كلهم من غير أى تمييز بين الأحمر و الأسود والكافر والمسلم ، أو نظر إلى حسب أو جاه أو مال أو قوة . وقد أولى الانسان الحقيقى الكرامة اهتماماً بالغاً ، و أجراها فى فكره و دينه و قوله و عمله الا مايكون خادشاً للناموس الاجتماعى أو معتدياً عليه قال الله تعالى : « و لقد كرمنا بنى آدم و حملناهم فى البر و البحر و رزقناهم من الطيبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا (٢) » « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم (٣) » « من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً (٤) » « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى (٥) » وكما تدل عليه النصوص الآتية : « فان دماءكم و أموالكم و أعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا (٦) » «لايهدم لهم بيعة ولا كنيسة ولا يمنعون من ضرب النواقيس و لا من إخراج الصلبان فى يوم عيدهم (٧) لا يغير أسقف من اسقفيته ، و لا راهب من

(١) مشكاة المصابيح باب فى الشفقة على الخلق .
(٢) بنى إسرائيل الآية ٧٠ (٣) التين الآية ٥
(٤) المائدة الآية ٣٢ (٥) البقرة الآية ٢٥٦
(٦) المشكاة باب حجة الوداع
(٧) أبو يوسف كتاب الخراج ص ١٤٣

رهبانيته ، ولا كاهن من كهانته و لا يخسرون و لا يعسرون (١) ، وأقر أهلها (بلاد العنوة) فيها على مللهم وشرائعهم (٢) ، فهم أحرار فى شهاداتهم و مناكحاتهم و مواريثهم و جميع أحكامهم (٣) و لا يحال بينهم و بين شرائعهم (٤) و لا يكرهون على دينهم (٥) .

٢- المساواة : فالانسان كله من أصل واحد ونسب واحد وهم متساوون فى الأصل و النشأة ، و من ثم حطم الانسان الحقيقى أصنام الامتيازات من النسب و الجنس و اللون واللغة و غيرذلك ، وقرر الأخلاق والفضائل معياراً للعز و الشرف ، قال الله تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير (٦) » « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيراً و نساءاً (٧) » .

و قال عليه السلام : « إنهم أمة واحدة (٨) » « أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة (٩) » « كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ، و لينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان » (١٠) « إن الله قد أذهب

(١) أيضاً ص ٧٢
(٢) أبو عبيدة كتاب الأموال ص ١٠١ (٣) أيضاً ص ١٤٠
(٤) الطبرى الجزء الرابع ذكر الخبر عن وقعة المسلمين والفرس بنهاوند
(٥) أيضاً فتح بين المقدس .
(٦) الحجرات الآية ١٣ (٧) النساء الآية ١
(٨) السيرة لابن هشام الجزء الأول ، و كتاب الأموال ص ٢٠٤
(٩) أبوداؤد (١٠) التفسير لابن كثير لسورة الحجرات

عنكم حمية الجاهلية و تعظمها بآبائها ، فالناس رجلان رجل برتقى كريم على الله و رجل فاجر شقى هين على الله تعالى (١) » ليس لاحد على أحد فضل إلا بدين و تقوى (٢) » .

٣- المودة : الرابطة التى تربط بين بنى الانسان على المودة و الحب و العطف و الرحمة و الحنو كما بين أعضاء الأسرة مع الاخلاص الكامل و ابتغاء وجه الله فى ذلك ، قال الله تعالى : « و رحمتى وسعت كل شئ (٣) » « و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (٤) « رحماء بينهم (٥) » وقال عليه السلام : « لا تنزع الرحمة إلا من شقى (٦) » « الرحم شجنة من الرحمن » (٧) « راحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » (٨) من لا يرحم لا يرحم (٩) » .

و المؤدة عند الانسان الحقيقى واجبة للمخالفين فى الدين و فى أثناء الحرب أيضاً ماداموا لم يعتدوا على المسلمين ، ولم يعادوهم كما قال الله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، و لم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم و تقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين و أخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » (١٠).

البقية على صفحة ٦٢

(١) رواه ابن أبى حاتم (٢) المشكاة فى شعب الايمان
(٣) الأعراف الآية ١٥٦ (٤) الأنبياء الآية ١٠٧ (٥) الفتح الآية ٢٩
(٦) المشكاة باب الشفقة و الرحمة (٧) البخارى كتاب الأدب
(٨) أيضاً أبواب البر و الصلة (٩) أيضاً باب رحمة الناس والبهائم
(١٠) الممتحنة الآية ٨ - ٩

علم من أعلام الأدب العربى فقدناه !

الشيخ عبد العزيز الميمنى فى ذمة الله

فضيلة الأستاذ واضح رشيد الندوى

توفى فى ٢٧ / اكتوبر ١٩٧٨م العلامة الباحث الكبير الشيخ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى فى كراتشى ، بباكستان بعد أن بلغ من العمر تسعين سنة قضاها فى خدمة العلم و الأدب ، و اللغة العربية و نشرها ، و كان بقية السلف ، حجة فى اللغة و الأدب ، حافظاً للشعر العربى ، و الأنساب ، قوى الذاكرة ، عميق النظر و الدراية ، و مفخرة فى شبه القارة الهندية فى عالم الأدب العربى و دراساته ، و طبقت مؤلفاته و حواشيه القيمة الآفاق و صارت مرجعاً من مراجع الأدب العربى .

ولد العلامة الميمنى فى كانهاوار ، الهند فى عام ١٨٨٨ م و تلقى دراسته كعادة الأطفال المسلمين فى الكتاتيب المحلية ، ثم رحل إلى دهلى فى ١٩٠١ م للدراسات العالية ، و قرأ على الاساتذة الكبار فى لكهنؤ ، و البنجاب ، و دهلى ، و كان من تلاميذ الاستاذ الكبير نذير أحمد ، ثم شغل منصب أستاذ اللغة العربية فى جامعة عليكراه الاسلامية إلى أن صار رئيس قسم اللغة العربية بها و أقام بها إلى أن انتقل إلى باكستان ، حيث أشرف على عدة مراكز تعليم الأدب العربى ، فى جامعات مختلفة و كان اشتغل استاذاً فى قسم اللغة العربية فى جامعة كراتشى .

كان العلامة الميمنى قوى الذاكرة ، يحفظ قدراً كبيراً من الشعر العربى ،

و قد سأله سماحة الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوى خلال رحلته الأخيرة لباكستان بمناسبة المؤتمر الاسلامى الآسيوى الأول فى كراتشى فى يوليو الماضى ، عما يحفظ من الشعر العربى ، فرد العلامة الميمنى قائلا : حوالى مائة ألف ، و قد ذكر العلامة نفسه فى إحدى مقالاته أنه حفظ فى صباه المعلقات العشر وديوان الحماسة ، و المتنبى و الجمهرة ، و المفضليات و الكامل للمبرد ، و النوادر لأبى زيد ، و البيان و التبيين و أدب الكاتب و الأقتضاب .

كسب العلامـــة الميمنى بنظره الدقيق فى مراجع الأدب العربى ، اعتراف القاصى و الدانى ، لكتابه « أبو العلاء و ما إليه » الذى ألفه فى أحرج وقت ، لاحتوائه على قول فصل فى القضيـة التى أثيرت حول شخصية أبى العلاء المعرى ، و قد أشرف على طبع الكتاب ، الكاتب الاسلامى محى الدين الخطيب منشئ مجلة « الزهراء » القاهرية .

قوبل هـــذا الكتـاب القيم باحترام و اعتراف بالغين فى الأوساط العلمية ، لأنه كان حافلا بتاريخ عصر الشاعر أبى العلاء المعرى ، و تحقيق أرائه و أفكاره ، و بيئته ، و معاصريه ، و تحليل الآراء للمتقدمين و المتأخرين عنه و القول الفصل فيه ، فأزال عدة شبهات كان الكتاب المحدثون قد أثاروها حول نشأته ، و حول عقائده و فلسفته و نظرته إلى الحياة ، و الانسان ، و قام بغربلة أفكاره من شعره ، و من أقوال الناس عنه ، و من أقواله نفسه و آرائه التى أملاها لتلاميـــذه فى آخر أيام حياته .

كان عهد تأليف هذا الكتاب عهد حملة التغريب فى مصر ، التى صارت مركز الاشعاع الفكرى للعالم العربى لوجود أساتذة مستشرقين و نشأة جيل من المتغربين

أمثال طه حسين الذى كان يتزعم حركة الانتقال من الفكر الشرقى إلى الفكر الغربى ، و بدأت الجهود الاصلاحية لرفاعة بك الطهطاوى و غيره من المجددين تثمر فى تغيير الموازين ، و كان الأدب يلعب دورا حاسما فى هذه الثورة الفكرية ، باسم « البحث العلمى و عالمية الثقافة » فأثار المجددون مسائل فى بحوثهم عن التاريخ الاسلامى ، و مصادره ، و نقلة التراث و رواته ، و تدوين التراث الاسلامى و كتابتـــه ، و عقائد هؤلاء الرواة و العلماء و الأدباء و المؤرخين و أفكارهم ، و لم يبثوا الشكوك فى الرواية ، و النقل فحسب ، بل شككوا فى عقائدهم ، و فلسفة حياتهم ، ليلتمسوا منـه عذراً لحملة تجديدهم و ليحولوا القارئ عن السلف و ليشوهوا وجه التاريخ الاسلامى ، وكانت حلقات هذه السلسلة كتاب تاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان منشئ « الهلال » و رواياته عن التاريخ الاسلامى ، و كتـاب ذكرى أبى العلاء ، أول كتب طه حسين فى هذا المجال الذى صـــدر فى عام ١٩١٩ ، و محاضرات المستشرقين و مؤلفاتهم عن التاريخ ، و الشعر و الأدب ، و محاضرات طـه حسين فى الشك فى الشعر الجاهلى و بحوثه الأخرى فى تاريخ الأدب ، وصدر كتابه « فى الشعر الجاهلى » فأثار الكتاب امتعاضاً شديداً فى الأوساط الاسلامية بينما ترك الكتاب أثراً سيئاً فى الجيل الجديد ، ثم صـــدر كتـاب فى الأدب الجاهلى (١٩٢٧م) الذى كان نسخة منقحة للشعر الجاهلى و قد حذف فيه بعض الفصول المؤلمة ، و زاد فصولا ، و اختار طه حسين هذا السبيل ليزحزح الثقة عن مصادر التاريخ الاسلامى ، و يخرج عن الذهن نظرة احترام إلى السلف ، و كان كتابه الثانى من هذه الخطة المدبرة « مع المتنبى » و كشف طه حسين عن كل ما يطمح إليه فى كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر »

و قد أشار العلامة الميمنى إلى هذا الاتجاه الخطير الذى ظهرت بوادره فى

ميدان الكتابة و الأدب ، و هو يبين سبب تأليف كتابه «أبو العلاء و ما إليه» الذى صدر فى القاهرة فى عام ١٣٤٥هـ .

لما رأيت هجنة المستعربين و لثغة المتأدبين قد نكبتهم عن الوصول إلى غاية المأمول فوقعوا فى سلا جمل ، و ارتكبت مراكبهم فى الوحل ، اغتنمت الفرص ، و انتهزت من الإبناء الخلس و استنطقت الحبس .

و قال فى موضع : كان القول طال و تجاذب الناس فيه أطراف مطارف المباحث ، من مجد و عابث ، إلا أنى وجدت رجلين (مرجليوث ، و طه حسين فى ذكرى أبى العلاء) هما معول الآخرين و مفزع الناقلين . فتوخيت تصحيح كتابيهما عما أتياه من قلة التأمل و التفكير بشتات الأقوال بحيث يشغل الضمير ، حتى تتجلى الحقائق فى بردها القشيب ، (أبو العلاء و ما إليه) .

و قد سلك الشيخ الميمنى فى كتابه مسلك باحث مدقق ، و مفند لأكاذيب و تلفيقات الكتاب فى عصره كما سلك العلامة شبلى النعمانى قبله هـذا المسلك فى كتابه « نقد تاريخ التمدن الاسلامى » لجرجى زيدان ، فأبان كلاهما التلفيق فى كتابيهما و أرشدا إلى طريق البحث العلمى الرزين بدون تعصب ، و غمط حق ، فقوبل الكتابان فى الأوساط الاسلامية باستقبال و ترحيب ، وكانا دعما للمجهودات التى كان يقوم بها المخلصون فى البلاد الاسلامية فى وجه هذا الغزو الفكرى .

وقد كتب الأستاذ أحمد محمد شاكر إلى مؤلف كتاب «أبى العلاء وما إليه» بعد صدور الكتاب ، قائلا :

« قرأت كتابكم « أبو العلاء و ما إليه » و ما اعتدت تقريظ كتاب ، فلم أملك قلمى عن الكتابة إليكم وجدتكم أوفيتم البحث حقه واستوعبتم كل مايستحقه موضوعه من الأدلة و الحجاج ، ولقد أخذ بلبى إنصافكم القول فى شأن أبى العلاء

فان رجلا من عصرنا يريد أن ينشر بين المسلمين إلحاده ، و حاول أن يأخذ على أبى العلاء كلمات لعله لم يحسن فهمها ، ليذيع بين الناس أن له إماماً يتبع طريقه فأجهد نفسه ، و أتعب كاتبه ، و أخرج للقراء كتاباً يزعم به أنه نحو جديد من التأليف و ما هو بجديد و لا بقديم » .

و قام الشيخ الميمنى بعد تأليف هذا الكتاب بتنقيح وتعليق «رسالة الملائكة» لأبى العلاء و هى أخت رسالة الغفران ،وهذه الرسالة فى مسائل النحو والتصريف و قد وجهت أسئلة فى النحو و التصريف فأجاب عليها فى هذه الرسالة ، كما أجاب على أسئلة ابن القارح فى رسالة الغفران ، و صدرت هذه الرسالة كملحق لكتاب أبى العلاء كما أضاف ملحقاً آخر عن فائت شعر أبى العلاء .

و قد استدرك سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى على فائت شعر أبى العلاء فى مجلة الضياء الصادرة من ندوة العلماء فى عام ١٣٥١هـ فى (باب البحث و التنقيب) فقال :

«الشيخ الأستاذ العلامة المحقق عبد العزيز الميمنى الراجكوتى (أطال الله بقاءه) أشهر من أن يعرف ومن غاب عنه كتابه « أبو العلاء و ما إليه » و لم يوفق لقراءته فقد فاته أدب جم وعلم غزير ، وقد أضاف إلى آخره جزءاً لطيفاً فى زيادة ديوان شعر المعرى ، وزعم - حفظه الله - أنها لا توجد فى كتبه المعروفة بيد أننا عثرنا على أبيات هى موجودة فى سقط الزند ، ديوان شعره المعروف ، فنرجو أن التنبيه منا على مثل هذا من غير تعقيب لا يعد جرامة منا و جسارة فليت شعرى كيف ذهب مثل هذا على مثله » .

القول الفصل من قضية زندقة أبى العلاء .

يعتقد الشيخ الميمنى أن إثارة قضية زندقة أبى العلاء لها خلفيات سياسية

و اجتماعية و أن الذين يثيرونها يريدون أن يجعلوا زندقة مثل هذه الشخصيات من المتقدمين نكأة لهم فقال :

« إنهم يأنفون عن التكاليف الشرعية و يستنكفون من العبادات و يستخفون بها و يستهزؤن و يسخرون و يولعون بالهزل و لا يأخذون بذوات نفوسم بله المسترشدين على أن جلهم كانوا داعين إلى مقالتهم التى أنشأوهـا حتى يتمكنوا من زهرة الحياة و يقدروا على لذائذ الدنيا ، فانها غرضهم الوحيد ، و لم ينقل أحـد و لا من أعدائه [المعرى] عنه أن كان يرغب فى شئ من رغائب الدنيا » .

و يقر الشيخ الميمنى أن أبا العلاء مر بفترة تذبذب فى شبابه ، و لكنه تاب فى آخر أيام حياته ، فقال : إنه كان ممتريا ثم بقى طول كهولته مرددآ ، ثم صدق بالشرائع فى مشيبـه ، و قال نقلا عن السلفى إنه وقف على كتاب « ضوء السقط» الذى أملاه المعرى فى آخر أيام حياته وهو مصلح لفساده وموضح لرجوعه إلى الحق و صحة اعتقاده ، و يعقب عليه ، وللآخرة خير لك من الأولى ، و فى هذا الكتاب تعظيم رسول الله ﷺ ، والتقرب إلى الله بمدائح الأشراف من ذريته وتبجيل الصحابة والرضا عنهم و الاقرار بالبعث و الاشفاق من اليوم العسير وتضليل من أنكر المعاد ، و نقل قول المعرى : أنا شيخ مكذوب عليه .

و ابان الشيخ الميمنى نوايا المحدثين و ضلالهم فقال : إن المتقدمين من متهميه راعوا جانب التحفظ ولكن المتأخرين المسيطرين حكموا بزندقته حكم الصبى ولم يستثنوا .

و لا تحكما حكم الصبى فانه كثير على ظهر الطريق مجاهله

و مما يدعو إلى الاستغراب فى هذا المجال أن مؤلفى تاريخ الأدب العربى ، غمطوا حق مؤلف « أبو العلاء و ما إليه » ، إما لأنهم سحروا بأسلوب طه حسين وتلفيقه للحقائق ، أو أنهم وجدوا فى كتابه صدى لفكرهم أو تعبيرآ له فعدوه خير

كتاب فى أبى العلاء ، و لم يعطوا كتاب الشيخ الميمنى حقه الذى كان يستحقه فى تاريخ الأدب العربى ، و قد يكون سببه أن مؤلف هذا الكتاب هندى .

و من مآثر الشيخ الميمنى العلمية الأخرى ، سمط اللآلى فى شرح أمالى أبى على القالى ، و هو تعليقات وحواشى على كتاب اللآلى فى شر الأمالى ألفه الوزير أبو عبيد البكرى الأوني (م٤٨٧هـ) طبع الكتاب من مطبع لجنة التأليف والترجمة و النشر فى عام ١٣٥٤ ، و يعتبر الكتـاب من مراجع الأدب العربى ، و هو معروف متداول ، و له زيادات ديوان المتنبى ، أشار إليه الأستاذ محمود محمد شاكر فى كتابه « المتنبى » .

انتخب العلامة الميمنى عضوآ للمجمع العربى بدمشق الذى أسسه العلامـة محمد كرد على فى عام ١٩١٩م اعترافآ بخدماته الأدبية . و كان مندوب الهند .

و اختير عضوآ فى لجنة تصحيح لسان العرب لابن منظور و كان ذلك دليلا على علو كعبه و طول باعه فى تحقيق اللفظ العربى .

كان للشيخ الميمنى رحمه الله علاقة وثيقة مع محبى العلم و الأدب ، فكان مكرماً مبجلا فى سائر الأوساط العلمية و قد عاش مكفى الحال مرعى الجانب . و خاصة بعد انقطاعه عن وظيفـة التدريس ، فظل مكباً على البحث و التحقيق و الافادة العلمية ، و دامت صلته مع رجالات العلم و منهم أعضاء أسرة ندوة العلماء و بصفة خاصة مع العلامـة السيد سليمان الندوى فى حياته و سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى (أطال الله بقاءه) و كان يتابع النشاطات العلمية و الأدبية لأبناء الندوة ، و قد أهدى فى آخر أيام حياته مبلغاً كبيراً لشراء مراجع الأدب و اللغة العربية ، لندوة العلماء ، و سينشأ له جناح خاص باسمه تذكاراً له ، فى مكتبة ندوة العلماء ، و سينقل إليه كذلك بعض كتب من مكتبته الشخصية ، رحمه و تغمده برضوانه و أدخله فسيح جنانه ، و جزاه الله عنا خير الجزاء .

رجل فقدناه

الشيخ حسن حبنكة إلى رحمة الله تعالى

توفى إلى رحمة الله تعالى شيخ الشام ومربيها الجليل الشيخ حسن حبنكة الميدانى ليلة الاثنين ١٣/ ١١/ ١٣٩٨هـ فى مدينـــة دمشق ، فانا لله و إنا إليه راجعون ، و قد كان هذا النبأ المفجع الذى وصلنا بتأخير كبير محزنا للأوساط العلمية والدينية كلها و لاسيما ندوة العلماء و أسرتها الواسعة التى عرفت الفقيد رحمه الله ، وعرفت فيه ما كان يحمله من صفات عظمية و أخلاق عالية و سمات طيبـة ، و قد حكت الرسائل التى و رددتنا أنه بعد ما انتهى من تدريس طـــلابه فى الليل حسب عادته ودعهم قائلا : غدا السفر إلى الدار الآخرة ، أو إلى مكة المكرمة ، فكانت الأولى ، رحمه الله رحمة واسعة ، .

و بالمناسبة يسعدنا أن تنشر رسالة سماحة الشيخ أبى الحسن على الندوى التى بعث بها إلى أصدقائه الأعزاء باسم الاستاذ عبد الماجد المجذوب رداً على رسالته التى نعى فيها الشيخ حسن حبنكة رحمه الله ، فان فيهـــا تعريفا بمكانة الراحل الجليل و منصبه فى العلم و الدين و سننشر فى العدد القادم مقالاعن حياته ، باذن الله .

حضرة الأخ العزيز الأستاذ عبد الماجد المجـــذوب حفظه الله تعالى ،

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته ، و بعد فأحمد إليكم الله الحى الذى لا يموت ، و أرجو أن تكونوا و جميع الاخوة الأعزاء ر المحبين الكرام بخير وعافية ، تلقيت كتابكم العزيز الذى تنعون فيه المربى الجليل وبركة العصر الشيخ حسن

حبنكة الميدانى رحمه الله ، فانا لله و إنا إليـه راجعون ، لقد كان هذا النبأ مفاجأة أليمة لى بوجه خاص و لجميع الاخوة الأعزة هنـا بوجه عام ، فقد كانت لى بالفقيد رحمه الله صلة شخصية خاصة ، و كنت أعرفه منذ فاتحة حياتى العلمية ، ولما حضرت دمشق لأول مرة فى عام ١٩٥١م زرته فى منزله فوجدته على منزلة رفيعة من العلم والربانية ، و قد أحبنى هو أيضاً وأحاطنى برعايته ، و فى عام ١٩٥٦م حينما زرت دمشق على دعوة من صديقنا المرحوم الأستاذ الكبير مصطفى السباعى عميـــد كلية الشريعة بجامعة دمشق فى ذلك الوقت ، كأستاذ زائر فى الجامعة ، زرت الشيخ حسن حبنكة و استفدت من مجالسه و ظللت اتصل به طوال مدة إقامتى هناك ، و منـذ ذلك الوقت كانت الصلة بينى و بينه وثيقة وطيـــدة ، و استقر حبه فى قلبى لأننى وجدته على صفات عالية و أخلاق فاضلة ، و علم جم و ربانية مخلصة ، وفى زيارتى الأخيرة لدمشق فى عام ١٩٧٣م تناولنى بالعطف و الاكرام و الحفاوة البالغـــة ، الخصلة الكريمة التى لا أنساها له أبداً ، فجزاه الله عنا كل مثوبة و أجر كريم .

كان الفقيد عالماً ربانياً ، وبقية السلف الصالح فى الورع و التقى ، و الاتصال بالله و الثقة الكاملة فيه والتفانى فى سبيله ، كما كان آية فى الأخلاق الفاضلة والنزاهة و البعد عن زخارف الدنيا و شواغلها ، قلما يوجد له نظير فى هذا الوقت .

و قد أكرمنى بقبول الدعوة التى وجهتها إليه للحضور فى المهرجان التعليمى الذى أقامته ندوة العلماء منذ ثلاث سنوات ، و شرف الجميع بحضوره فى المهرجان و زاده إشراقاً و بهاءاً ، و إننى أعتبر ذلك منة له كبيرة علينا لا يسعنا نحوها إلا أن ندعو الله له بمزيد من الجزاء الحسن و المثوبة الطيبة فى آخرته ، و كم كان لدعائه الذى دعاه فى إحدى جلسات المهرجان تأثير عميق و عجيب ، أدمع العيون و أبكى القلوب ، وكان له نصيب كبير فى نجاح المهرجان ، و اتساع نفعه المرجو فجزاه الله عنا جميعاً كل خير و وفاه أجره بغير حساب .

ولا شك فقد حرم العالم الاسلامى بوفاته علماً من أعلام العلم و الروحانية، وفقد فيه رجلا كبيراً لا ينساه التاريخ المعاصر ، و يسجل مآثره بمـداد من نور و يخلد ذكره فى سجل الخالدين من العلماء الأبرار ، و الصالحين الأخيار .

و إننى إذ أخط إليكم هذه السطور أشعر بمرارة الألم ، و بفداحة الخسارة التى منيت بها الشام خاصة و العالم الاسلامى كله بصفة عامـة ، و لا أدرى كيف أعزيكم على هذا المصاب العظيم و كيف أعبر عما أحس به فى قلبي من أسى بالغ وحزن عميق ، و ادعو الله تعالى أن يعزى قلوبنا جميعاً ، و يلهم جميع أفراد أسرته وأهله وأنجاله الكرام و ذويه ، و جميع تلاميذه و محبيه و الشعب السورى الكريم الصبر و السلوة ، فانه سميع مجيب ، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم .

بلغوا تحياتى إلى جميع الاخوة الكرام و المحبين و العلماء و المشايخ الكرام، و خاصة أعضاء أسرة الفقيد رحمه الله رحمة واسعة و أسكنه فسيح جنانه .

و السلام عليكم و رحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

أبو الحسن على الحسنى الندوى

العالم الاسلامى — صور و أوضاع

كفاك عبثاً . . . يا معمر القذافى !

محمد الحسنى

إننا لن نسمح لعاقل ومثقف لم يدرس أصول الدين ومبادىء الأولية و لم يطلع على مصادره النقية الأصيلة أن يتدخل فى شئون دينية لا دخل له فيها ، ولا نسمح لأى إنسان لم يدرس أصول الطب و لم يمارسه مدة من الزمن و لو كان ذكيـاً وفاهماً أن يبدأ بمعالجة المرضى ، و يتكلم فى شئون الطب و مشكلاته كطبيب بارع يمارس هذه المهنـة - عن جدارة و حق - منذ زمن طويل .

هذا إذا كان الرجل عاقلا لم يفقد وعيـه ، ذكياً يتفطن للاشارة فكيف نسمح لمثل هذه الأمور بمثل معمر القـذافى الذى عرف بفقدان التوازن الفكرى وخضوعه دائماً لانفعالاته النفسية ، حتى صاريتكلم - أخيراً - فى قضايا أساسية واضحة لاغبار عليها من الكتـاب و السنة و مكانتهما ، ويقارن بكل تبجح وصلف و وقاحة بين القوانين الوضعية والشريعة الاسلامية و يجعلهما على كفة واحدة و ينادى بضرورة فصل الدين عن الدولة و إلغاء أحكام الشرع إذا اصطدمت مع مصالح الدولة . . ثم يهدد و يقول : إن الاسلام هو الاشتراكية .فان أردتم أن تجعلوا القرآن عائقاً فى طريق تطبيقها فعندها سنأخـذ القرآن و نضعه على الرف ! و يقول : الاجتهـاد و المذاهب الفقهية . . . كلها وضعية ، فما قاله أحمد بن حنبل ومالك و الشافعى كلها قوانين وضعية كالقانون الرومانى وقانون نابليون ، و لكن وضعها مسلمون ، و كذا

الأمر بالنسبة لى فأنا مجتهد كذلك ، و قد كتبت الكتاب الأخضر نتيجة ما أملته على قضايا علمية مادية دنيوية . . . إلى غير ذلك من خرافات الكلام . . . . . .

يا لمصيبة الشعب الليبى المسكين . . شعب السيد الشريف أحمد السنوسى الذى كتب عنه الأمير شكيب أرسلان أنه كان فى عبادته كالأبدال ، وفى جهاده كالأبطال . . . . شعب حارب الطليان بكل شجاعة و ابتسامة . . . و ثبت على جادة الحق ، والحرية و الاستقلال كالطود الأشم .

لقد روى فيما روى فى عهد عبدالناصر من نكات كان يتنفس بها شعب مصر عن غليانه و يخفف عن بعض آلامه النفسية أن كلباً هرب من القاهرة . . ولم يتوقف لحظة حتى عبر الحدود المصرية الليبية و ما أن دخل فى أرض ليبيا إلا بدأ ينبح بشدة و استمرار . . . . . و لما سئل عن السبب قال : إنه لايستطيع أن ينبح فى مصر عبد الناصر فجاء هنا ليتنفس برئتيه و ينبح بملء شدقيه . . و لكن أرض ليبيا الآن لاتسمع لكلمة الحق ، . . . و يتسلط على رقاب المسلمين فى هذه البلاد العزيزة المؤمنة ، المجاهدة المناضلة ، جاهل يدعى العلم ، و يسخر من الحديث ، ويرجح كتابه على كتاب الله ، و يهدى بما يشاء بمرأى من العلماء ومسمع منهم .

و قد صدق الله فى كتابه الحكيم .

« كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى »

إننا نعزى فى هذه الكارثة الشعب الليبى المسلم ، فاننا نعرف مصيبته فى دينه و قد جاء فى دعاء النبى ﷺ :

« اللهم لا تجعل مصيبتنا فى ديننا »

إن القضية ليست أنه أثار أسئلة ، كلا . . . فان هذه الأسئلة لا تنم إلا عن ثقافة ضحلة ، و غرور بالنفس ، وجهل تام بالأمور و سطحية منقطعة النظير ،

هى وجود أمثال هؤلاء على كراسى الحكم يلعبون بمصاير الشعوب المسلمة ، لاسيما هذا الرجل فلا يدرى أحد ما يدور برأسه غداً .

إنه نادى بتطبيق الشريعة أولا ثم نادى بالاشتراكية ثانياً ، ثم دعا إلى « الكتاب الأخضر » ، و اتجه إلى اليمين و مال إلى اليسار . . وقف حيناً كداعية و مرشد دينى إلى الاسلام ، و وقف أحياناً يعادى الدين ، و أهله ، و يقوض أسسه و دعائمه . . و يتفوه بما يملى عليه هواه لمجرد . . ، أنه رئيس ويظن أنه حر فى أن يتصرف فى كنوز الدولة و أموال الشعب كيف يشاء . . . و يبدو أن البترول و وجوده فى مركز قوة أسكره أكثر من اللازم ، و للناس فى هذا مذاهب ومدارك وأصناف ، فمنهم من لا تسكره كؤوس و منهم من تسكر كأس واحدة بل أقل منها ، فتبدو له الدنيا على غير حقيقها أو تكبر فى عينيه . . و يختلط عليه الخطأ و الصواب ، و الحق و الضلال . .

المهم فى الأمر أن القيادة الثورية فى ليبيا مسئولة عن تصرفاته الشائنة فى الدرجة الأولى و أن الشباب الليبى المجاهد مسئول عنه فى الدرجة الثانية ، إن موظفاً عادياً فى الدولة يطرد أو يعفى عن منصبه إذا علم أنه فقد توازنه العقلى فكيف يسمح أعضاء الثورة ، و ضباط الجيش ، وشباب البلد بأن يبقى على منصب الرئاسة رجل صار موضع سخرية و تندر فى العالم . . و شكل خطراً على القيم الاسلامية الخالدة ، و الذى عزل ليبيا عن بقية العالم الاسلامى ، و استخدم بثروات بلاده الفائضة فى الهجوم على البلاد الاسلامية الشقيقة .

كفاك عبثاً - يا معمر القذافى ! و رحم الله امرءاً قال خيراً فغنم أوسكت فسلم ، و وقانا الله تحريف الجاهلين ، و انتحال المبطلين ، وكيد الكائدين .

إلى الأمراء و الحكام فى البلاد الاسلامية

من العجيب المؤسف فى هذا الزمن أن الانسان الذى خلق لغرض واحد ولغاية واحدة . . . وزع نفسه فى جهات شتى وأغراض مختلفة وغايات منفصلة وصارت خليته ، كالذرات النووية التى تتحطم فى كل حين — و مع ذلك فانها تولد عند كل عملية تحطيم طاقة هائلة جبارة تدمر رقعة واسعة من الأرض فى لمحات و ثوان !

هـذه الذرة الانسانية — و الانسان ليس أكثر من ذرة إلى جانب هـذا الكون الفسيح — تملك قوة هائلة قد تصنع المعجزات وتأتى بالعجائب إذا استخدمت فى أغراض سليمة — و فى عبارة أصح لغرض سليم واحـد خلق له — و هو الغرض الأكبر الوحيد الذى تمثل بكل قوة و وضوح و بلاغة و إيجاز فى هـذه الجملة الخالدة .

« إن الدنيا خلقت لكم و إنكم خلقتم للآخرة » .

فليكن هـذا الاعلان شعار إنسان القرن العشرين . . . . هذا الانسان الآلى المحطم الذى يلوذ الآن بأذيال الفرار ، و يلتجئ إلى سائر أساليب الانتحار للتغلب على ذلك الضياع و القلق الذى يقطع أوصاله ويمزق كيانه فى كل حين وآن .

إن فقدان الهدف الصحيح ، الهدف الذى ينسجم مع الفطرة — ويتوافق مع حاجات الجسد المحدودة ومطالب الروح اللانهائية و مطامحها البعيدة عذاب ما فوقه عذاب . . إنه عذاب جعل هذه الحياة الزاهية المزخرفة جحيماً لا تطاق . .

إن الوسائل والأسباب ، والآلات و المعدات و سائرات التسهيلات صارت اليوم غصة فى حلق الانسان المادى النهمى المتحجر ، وصارت كل ذرة فى جسمه طاقة

نووية لهذه الأسرة البشرية بأسرها بدلا من أن يكون خيراً لها و رحمة عليها . . . و رفقاً بها .

كل فرد فى هـذا الكوكب الأرضى ذرة نووية شكلت خطراً أكبر على مصير الركب الانسانى بجهله عن غاية الخلق و الحياة ، و مصير الانسانيـة ، و لغز الكون و أسرار الباطن و الروح !

الانسانيـة اليوم تحتضر . . تحتضر من هـذا القلق النفسى الشديد الذى لا تموت فيه و لا تحيا ، بل تعيش بين كفتى الحياة و الموت

إنها لا تحتاج إلى « تنظير » الاسلام ، أو تخطيط جديد الاسلام ، أو إلى تعبير جديد للاسلام ، بل إنها تحتاج إلى هدف تفتقده ، و راحة نفسية تعوزها ، وخالق و رب يحميها و يكلؤها بعين رعايته و لطفه . . و غايات نبيلة واضحة تجاهد لها و حياة سعيدة سرمدية تقربها عيناً ، و تطيب لها نفساً .

فاجدوها أيها المسلمون بما أنعم الله به عليكم عن طريق خاتم النبيين و سيد المرسلين سيدنا و مولانا محمد و على آله و أصحابه أجمعين . . بهذا الدين الخالد و الحل الوحيد « الاسلام » إنه واجبكم كمسلم ، و مسئوليتكم كأحد أعضاء هـذه الأسرة الانسانية .

الدنيا تحتاج إلى إيمانكم ، لا إلى ثرواتكم ، و تحتاج إلى قـلوبكم العامرة بالحب ، لا إلى أجسامكم الفارهة الغضة بالنعيم . . إنها تحتاج إلى بيت الله ومسجد الرسول و رسالة الانسانية لا إلى الكرتينتال و هلتون و شيراتون .

إنها تحتاج إلى نوادى الذكر وحلقات العلم ، ونفحات الحب . . ورياح الايمان ، لا إلى ملاعب الكرة ، و التنس . . فقد تخمت بها الانسانية و ملتها .

فيا أمراء العرب ، و ياحكام المسلمين ، و يا أشبال الاسلام ، ويا زعماء العالم الاسلامى عليكم بهذا الدور . . وهو أكبر دور تلعبونه على مسرح العالم فى القرون الأخيرة .

انتحار . . فى غويانا !

نشرت الصحف الصادرة صباح اليوم خبراً مزعجاً يقلق بال كل من فى قلبه ذرة من إيمان و حب الانسان ، ذلك النموذج البديع الغالى لصنع الله . . . هل إن الله خلق هذا الانسان ليذهب ضحية مثل هـذا الانتحار الاجتماعى العام ، الذى صوره قبل أيام كاتب غربى وتنبأ به وتوقع حدوثه فى القرن الحادى والعشرين . . هل هذه الصحة و القوة و الجمال والذكاء . . والمشاعر النبيلة و العواطف الرقيقة ، و المطامح البعيدة و المواهب الغنية التى أودعها الله فى أشرف خلقه و خليفتـه فى أرضه وولد نبيه وصفيه سيدنا آدم عليه السلام ، مصيرها هذا التبديد الفظيع والاجرام الوحشى . . . لمجرد القلق و الحرمان الذى أصاب البشر هذه الأيام على يد بعض الطغاة و المجرمين الذين تولوا تجديف سفينة الانسانية من غير حق . . .

لقد انتحر أكثر من ٨٠٠ من المخدوعين - على زعم وكالات الأنباء - بأوامر قائدهم . . . و مهما كانت العوامل ، و أيا كانت هذه الطائفة . . فانما المهم فى الأمر . . هو ذلك القاع الذى انحدرت إليـه الانسانية فى عصر « الحضارة و العلم » . . نعم إنها حضارة ، و لكنها حضارة الذئاب ، و إنه علم و لكنـه علم المجرمين ، و نعوذ بالله من علم لا ينفع .

فما بالك بعلم يهلك الحرث و النسل ، و حضارة تبيـد المجموعات البشرية كالغازات المبيدة للحشرات . . .

إنها حضارة الانتحار أو حضارة الاستعمار . . و لو جاءت بألف دليل ، و لو تقنعت بمائة قناع ، و لو كان وراءها أروع نظام سياسى و أقوى قوة حربية و لكنهم دعاة على أبواب جهنم . .

و المسلمون هم المسئولون !

فقيدان عظيمان

فى شهر واحد فقدنا عالمين من خيرة العلماء . . و رجلين من أكرم الرجال فى العالم الاسلامى . . أولهما سماحة الشيخ الكبير العالم الربانى عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى الذى ارتحل إلى ربه فى ١٣/ ١١/ ١٣٩٨هـ وكان قد ودع طلابه قبل وفاته بليلة قائلا : غدا السفر إلى الدار الآخرة أو إلى مكة المكرمة . فكانت الأولى ، وسماحة الامام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود . . وقد فارق هذه الدنيا بعد يوم واحد من فراق صاحبه و كان آخر كلمة لفظ بها هو : « الرفيق الأعلى » .

و قد التقيا خير لقاء فى مهرجان ندوة العلماء التاريخى ، و كان لقاء كبيراً تنم عن معانى الاخوة والوفاء ، و العلم والدعوة و الفكر و التربية فى أكبر تجمع إسلامى شهدته ندوة العلماء و شهدته أرض الهند عبر تاريخها الطويل . .

إن وفاتهما خسارة نوع من الرجال و طراز رفيع من العلماء ينقص عددهم كل يوم . ، فقد ضربا أروع الأمثلة فى الجهاد العلمى . . وفى تطابق القول والعمل و فى إشراقة الروح . . . و العمل الصامت الدؤوب . . والاخلاص الكامل لدين الله . . و هى جوانب عظيمة لا تزال تتضاءل فى دنيا الشهرة ، و الأضواء ، ودنيا الأغراض و المصالح و الأرباح و المنافع . . .

جزى الله الفقيدين العظيمين عنا و عن المسلمين جميعاً فى مشارق الأرض و مغاربها خير ما يجزى عباده المخلصين العاملين و عوض عنهما خيراً منهما . . . فالأمة فى حالة الجدب . . . و الأوضاع فى أشد حاجة إلى رجال لا أشباه الرجال و علماء لا صور العلماء . . و فى الله عوض عن كل فائت . . و من كان يعبد الله فان الله حى لا يموت .

لقاءات و مشاهدات فى رحلة علمية لجمهورية مصر العربية

— ٤ —

سعيد الأعظمى الندوى

زرنا فضيلة الأخ الكبير الأستاذ حسين عاشور صاحب المختار الاسلامى فى منزله بحدائق القبة وكان قد أقام حفلة غداء تكريماً لوفد ندوة العلماء حضر فيها بعض أصدقائه الكرام ، و بعد ما تم التعارف الاسلامى بيننا تحدثنا حول النشاط الاسلامى فى الهند ، و ما تقوم به ندوة العلماء فى مجال التعليم و التربية و الدعوة الاسلامية باشراف رجلها الكبير سماحة العلامة أبى الحسن على الندوى ، وقد صحبنا فى هذه المناسبة أخونا الأستاذ عبد النور الندوى ولكن الأستاذ نذر الحفيظ الندوى وصل متأخراً لأنه كان مشغولا بالامتحان فى كلية التربية بجامعة عين شمس حيث يؤدى امتحان الشهادة للحصول على دبلوم فى التربية ، وذلك إضافة إلى ما يقوم به من إعداد رسالة الماجستر فى جامعة الأزهر .

و قد بالغ الأستاذ عاشور فى الاحتفاء بنا و لم يأل جهداً فى تهيئة كل مارأه لازماً فى هذه المناسبة ، و قضينا معه وقتاً طيباً فى جو علمى دينى ، و طلب منا الأستاذ حسين مقابلة صحفية لمجلة الاعتصام الشهرية التى يصدرها باشراف والده الشيخ أحمد عيسى عاشور ، وفعلا وضع لنا أسئلة مختلفة مما يتعلق بالحركات العلمية والدعوية و الاجتماعية و العمل الاسلامى فى الهند ، و رددنا على الجميع بنوع من الأيضاح

و التفصيل و الاشارة إلى بعض الجوانب المهمة التى استرعت الانتباه و زادت إلى معلوماتهم عن الهند و النشاط الاسلامى فيها ، و قد تم نشر هذا الحديث الصحفى فى مجلة الاعتصام ، بشئ كثير من الاهتمام .

وبالمناسبة اتفق أخونا الأستاذ عبد النور الندوى مع الأستاذ عاشور على وضع برنامج لنا لزيارة المعالم و الآثار التاريخية فى القاهرة ، وتكرم الأستاذ عاشور فتقدم بتأمين سيارته لنا لمدة يومين كاملين نزور خلالها مانريد زيارته من الآثار والأماكن التاريخية ، و وافقنا على هذا الاقتراح و قبلناه بشكر و تقدير ، لاسيما و قد لاحظنا صعوبة المواصلات فى القاهرة ، ومايعانيه الغريب الزائر من الزحام والمشقة فى الباصات العامة و السيارات الحكومية ، و لكن الله سبحانه قد سهل لنا هذه المشكلة الكبرى بفضل وجود هذه السيارة .

وخرجنا صباح ١٦ من مايو قاصدين زيارة معالم القاهرة وآثارها ورافقنا فى هذه الرحلة أخونا الأستاذ عبد النور الندوى والأخ العزيز السيد فخر الدين أحمد الأعظمى ، وتوجهنا أولا إلى المتحف الحربى حيث الغنائم العسكرية بمنطقة جامع محمد على باشا و مررنا بشارع جديد يخترق جبل المقطم ويصل بين القاهرة القديمة والجديدة. ودخلنا المتحف فاستقبلنا على الباب عسكرى مسلم رحب بنا ، وصادفنا داخل المتحف فور دخولنا فيه عدداً لا بأس به من الدبابات العملاقة من نوع باتن ، فاخبرونا أنها من غنائم الحرب الأخيرة التى قامت بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٣م والتى انتصرت فيها مصر وعبر فيها جيشها المسلم الباسل خط بارليف ، و عرفت بحرب ١٠/ رمضان .

و الحقيقة أن هذا النوع من الدبابات الضخمة إن دل فانما يدل على ما عند إسرائيل من إعدادات ضخمة وعتاد موسع موفور لمحاربة المسلمين العرب والاحتلال فى أراضيهم و مقدساتهم ، تعجبنا من هذه المعدات الحربية الكبيرة التى حشدها

إسرائيل فى هذه الحرب ، و لكن سرورنا كان عظيماً عند ما لمسنا بسالة الجيش المسلم المصرى التى تتجلى فى هذه الغنائم العسكرية التى اغتنمها الجيش المصرى واستلبها من العدو فى هذه الحرب التاريخية ، وقد رأينا ضمن هذه الغنائم الكثيرة ركاماً من الطائرات الحربية التى استعملها العدو الاسرائيلى و حطمها الجيش المصرى ، و هى من نوع فانتوم الأمريكية ، و قد كتبت على ركام طائرة منها آية قرآنية ظهرت فى محلها و مناسبتها الصحيحة و أعجبنا بذلك ، و هى « و ما رميت إذ رميت و لكن الله رمى » و قد تسلقنا إحدى الدبابات الضخمة نلاحظ ما تحتوى عليه من آلات الدفاع و الحرب و نتعجب من قوتها و متانتها ، و رأينا فى إحدى قاعات المتحف قنابل و آلات إطلاق النار ، كلها مما يبعث على الاستغراب ، ويدل على نوايا العدو ضد الدول الاسلامية العربية .

و تقدمنا فوجدنا فى ركن واسع من القاعة نموذجاً من خط بارليف ، والتحصينات التى أقامها العدو فى تلك المنطقة ، وكيف أن الجيش المصرى تمكن من عبور القناة والوصول إلى منطقة الخط فى غاية من الحيطة والسرية ، وما هى الوسائل التى اتخذها فى تمزيق هذا السد المنيع و شق الطرق فيه للدبابات الزاحفة ، و كيف تم له العبور و التغلب على التحصينات العسكرية و على هذا المعسكر الضخم الذى لا يحلم بالاحتلال فيه أقوى قوه من القوات العسكرية فضلا عن تحطيمه و تمزيقه مع تحطيم أسطورة القوة التى لا تقهر ، إن ذلك لآية فى الاعداد الحربى الهائل و المعجزة التى صنعها الجيش المسلم الباسل ، و لو لا أن النصر جاءهم من السماء لم يفعلوا ما فعلوه و لا حطموا ما حطموه و ما قهروا العدو الجاثم على صدورنا .

خرجنا من المتحف أكثر ثقة و أقوى إيماناً بأن هذه الحرب إنما كانت آية من الله تعالى ، أظهرها فى أوانها و أكد أن النصر لا يأتى إلا من عند الله ، وأن

المدد لا ينزل إلا من السماء ، و توجهنا إلى جامع محمد على باشا القديم ، و هو أشبه بجامع أيا صوفيا فى تركيا ، ودهشنا بما رأينا فيه من أعاجيب الزخرفة والزينة و من متانة البناء و طرازه النفيس ، و هو مبنى على طراز البناء التركى و يعتبر آية فى الهندسة و الفن المعمارى ، وتجولنا قليلا فى أركان المسجد و زرنا مقبرة محمد على باشا التى يفتح بابها فى الركن الأيمن من المسجد ، و قد رأينا أن عدداً وجيهاً من الزوار و السياح جاؤا لزيارة المسجد و لا ندرى هل تصلى فيه الصلوات الخمس بنظام ، أم أنه تحول إلى أثر تاريخى فقط ، و خرجنا من الجامع بعد أن صلينا ركعتين قرب المنبر .

وفى نفس هذه المنطقة مررنا بقصر الجوهرة بعمارة قديمة مبنية بالحجارة فأشار لنا بعض الاخوة إلى أصل حائط كبير فيها ، وقال هنا بئر يوسف عليه السلام التى ألقى فيها و ذكرها القرآن الكريم باسم الجب ، ولكن لم نتزل من السيارة لكى نزورها عن كثب ، وأغلب الظن أن مكان الجب هذا ليس له سند تاريخى ، و لكن العلم الصحيح عند الله و أردنا أن نزور مسجد الامام الشافعى رحمه الله و نرى مكان قبره ، فاتجهنا من هنا صوب مسجده ومررنا فى الطريق بمنطقة مقابر المسلمين وهى سلسلة طويلة فى سفح جبل المقطم تبدو عليها القبب وأبنية الضرائح ، وتحتها القبور و فوقها المساكن يسكنها ناس ، و من غريب ما سمعنا أن الموتى هنا فى القاهرة لا يدفنون فى القبور من اللحد ، التى تغطى بالتراب بل إنها قبور مبنية بالطوب شأن المخادع ، وكلما مات أحد توضع جثته فيها ، و يغلق عليها الباب ، فاذا مضت عليها مدة تكفى لتحول الجثة إلى رفات ورميم فتحوها لدفن جثة أخرى ، وهكذا دواليك ، كما أن بعض الكبار والأغنياء يبنون لأنفسهم قبوراً تخصهم وحدهم ويدفنون فيها بعد موتهم من غير أن يشاركهم فيها غيرهم ، و لكن هذه العادة كما قيل لنا توجد فى القاهرة

وحدها أما فى المدن الأخرى فقد رأينا هناك مقابر المسلمين حيث يدفنون فيها داخل اللحود ، و لعل هذه العادة بقية من العادات المصرية القديمة ، فقد كانت الفراعنة لا يدفنون إلا فى الصناديق من الحجارة التى كانوا يتخذونها للدفن ، وتوضع فيها الجثة محنطة ، ثم يدفن تلك الصناديق فى مناطق مجهولة لا يعرفها الناس بوجه عام ولا كانوا يستطيعون أن يصلوا إليها بسهولة ، وذلك لأنهم لم يكونوا يدفنون موتاهم إلا ويضعون معه فى صندوقه كمية كبيرة من المجوهرات و الذهب والجواهر ذات القيمة الغالية .

وصلنا إلى مسجد الامام الشافعى و كان الوقت ظهراً ، فدخلنا المسجد بشعور مزيج من الشوق و العبرة ، وبعد ما أخذنا جولة فى أنحاء المسجد جددنا الوضوء وصلينا الظهر جماعة ثانية ، و اتجهنا إلى مقصورة القبر و سلمنا على صاحب القبر ، و قد تمثل لنا كل ما سمعنا و قرأنا عن هـذا الامام الكبير ، مكانته فى الفقه و نظرته فى الكتاب و السنة و اجتهاده فى ضوئهما و تدريسه لطلابه الذين كانوا يعدون بالآلاف ، و ربانيته و تقواه ، و اتصاله بالله تعالى ، و ما أسدى على الأمة الاسلامية بالعلم و الفقه و النظرة الواسعة الشاملة . و لكن الشئ الذى أحزننا هو تلك البدع و المنكرات التى تمارس علناً على القبر ، و ذلك كالاستغاثة بصاحب القبر والاستعانة به و توجيه الرسائل والطلبات إليه ، فقد رأينا مجموعة من الأوراق و النقود على القبر و كانت بعض الرسائل مكتوباً عليها عنوان المرسل إليه ، وملصقاً بها طوابع البريد ، وذلك يشير إلى قلة الوعى لدى العامة فى تجنب البدع وإلى حاجتهم نحو تربية دينية صحيحة يجب أن يتلقوها من العلماء وأصحاب العلم والتربية وهم كثيرون فى هذا البلد الغنى بمراكز العلم و الدين و بوسائل التربية و التعليم ،

جاءتنا سيارة الأستاذ حسين عاشور صباح اليوم التالى لكى نتم ما بقى من زيارة الآثار ، و خرجنا نحن الأربعة ، نفس أعضاء أمس ، و قلنا سنبدأ من

المتحف المصرى بميدان التحرير ، و توجهنا إلى المتحف و لما وصلنا إلى البوابة الرئيسة صادفنا هناك زحاماً من الزوار و السياح ، واشترينا تذاكر الدخول للمتحف العام و دخلنا و تجولنا فى مختلف الأنحاء و الجهات و القاعات ، و معظم الآثار كانت تشير إلى تاريخ الفراعنة و الحضارة الفرعونية ، و إلى ما كانت الحياة آنذاك ، و إلى أى نوع كان الناس يعيشون فيه من أساليب و تقاليد و خدمات و طراز للبناء ، و قضينا وقتاً لا بأس به فى جولة ممتعة ، ثم طلعنا على الطابق الثانى حيث بقايا الآثار و الحضارة و قلنا : لا ينبغى أن تفوتنا مشاهدة جثث الفراعنة التى لا تزال محفوظة فى قاعة خاصة بها ، و للدخول فى هذه القاعة رسم مستقل يحوج إلى شراء تذكرة لمن أراد أن يزورها ، ولما دخلنا وجدنا هذه الجثث مودعة فى صناديق من زجاج يظهر وجه كل جثة بملامحه . وعلى كل جثة مؤشرات تعين الترتيب والفترة التى حكم صاحبها فيها ، فهذا رمسيس الثالث هو الذى يعرف بفرعون موسى عليه السلام ، و لم يكن حاضراً فى صندوقه التابوتى فقد كان أرسل للعلاج إلى ألمانيا حيث أصيبت جثته بمرض ، و خرجنا من قاعة الفراعنة و فى قلوبنا الخواطر و الأفكار ألواناً و أنواعاً ، و أكبر شئ لمسناه فى النفس هو أن هيبته هذه الاسم التى كانت تملأ القلب قد زالت بتاتاً ، و لم يعد لدينا ما يبعث على التفكير فيهم و الاهتمام بشأنهم .

و توجهنا إلى منطقة « الأهرام » المصرية التى نالت شهرة واسعة فى تاريخ العجائب و تعتبر إحدى عجائب الدنيا ، وكنا نسمع بها من صغرنا ، فكنا حريصين على زيارتها وهى تبعد عن مدينة القاهرة بمسافة لا بأس بها و تقع خارج العمران ، وهى ثلاثة أهرام ، الكبير و المتوسط و الصغير . وقد زرنا الكبير أولا و درنا حوله و صعدنا على بعض أجزائه و رأينا كيف أن الصخور الضخمة ركبت بعضها

فوق بعض ، و كم يكون كلف ذلك من الجهود و الأموال ، و يقال إنه فى الواقع مقابر الفراعنة ، كانوا يدفنون فيه صناديق الجثث بحيث لا يطلع عليها أحد ، و فيه من الأنفاق و السراديب ما إذا دخل فيه أحد لا يستطيع أن يعود حياً ، و زرنا الثانى و الثالث كذلك ، و كلها متقاربة المناطق .

ويقع على مقربة من الأهرام « أبو الهول » و مركز « الصوت و الضوء » و قد زرناهما و مكثنا هناك ساعة قليلة نستوحى عبرة الزمان ، و درس التاريخ ، ونفكر فيما إذا كانت هذه القوة الحائلة قد وضعت فى بناء السيرة والأخلاق وتصنيع ما يعود نفعه على الأجيال من رفع مستوى الحياة و تفجير كوامن القدرات الانسانية فى مجالات العلم والصناعة و التعليم و الحضارة والبناء ، كم كان ذلك مفيداً للبشرية ، و أصبح نموذجاً للحضارة الانسانية .

وتوجهنا بعد هذه الجولة إلى مصر القديمة حيث جامع عمرو بن العاص فقد كنا فى شوق شديد إلى زيارته ، و ذلك هو موقع مدينة الفسطاط ، و دخلنا المسجد فاذا هو جامع أثرى واسع جداً و لا يزال عمل التوسعة مستمراً فيه ، و مررنا بأنحاء المسجد ثم قضينا فيه وقتاً لا بأس به ، و بعد ما صلينا فيه خرجنا و رجعنا إلى مقرنا بمدينة البعوث ، و شكرنا الله تعالى على هذه الرحلة الممتعة .

وفى خلال هذه الزيارات مررنا بجامع ابن طولون فى مصر القديمة كذلك ، وزرنا الجامع الذى هوبالسيدة زينب ، وفى جوار المسجد قبرها الذى لا يزال الزوار و السياح يزدحمون عنده ، ودنونا إلى القبر فوجدنا عليه مقصورة من فضة أهداها إمام فرقة البهرة سيدنا برهان الدين و قد أقيمت هذه المقصورة فى مناسبة خاصة حضرها الحكام و العلماء على السواء ، كما أخبرنا به بعض الأصدقاء ، و رأينا البدع

منتشرة فى هذا المكان ، داخل المسجد وخارجه ، و الشئ الذى بعثنا على الأسف هو طواف بعض الجهلة من الزوار و السياح و المستغيثين حول المقصورة تحقيقاً لنذورهم أو طلباً لحاجاتهم - فيما يزعمون - و نرجو أن علماء الاسلام فى هذا البلد المسلم و على رأسهم علماء الأزهر يصلحون هذا الفساد و يغيرون هذا المنكر .

طلب منا ذات يوم الاخ العزيز الأستاذ حسين أحمد الهندى أن نتغدى معه فى منزله بالعتبة الخضراء و قد أصبحت له عائلة فى مصر حيث تزوج و سكن ، ثم نخرج معه فى نزهة قصيرة إلى منطقة قصر النيل لنزور برج القاهرة وحديقة الأندلس ونركب الزورق للتفرج على النيل ، وخرجنا معه بعد ما تغدينا فى بيته نحن والأستاذ عبد النور الندوى والأخ فخرالدين و زرنا هذه المعالم وطلب منا الاخوان أن نصعد على برج القاهرة لكى نطل منه على القاهرة كلها ولكننا اكتفينا برؤيته من قريب و قضينا وقتاً طيباً فى حديقة الأندلس على شاطئ النيل ، و تفرجنا منها على النيل و لم نر من المصلحة أن نركب الزورق و نتفرج فى النيل . وقد تمتعنا برؤية المناظر من الشاطئ ، ثم رجعنا قبل غروب الشمس ، وشكرنا الأخ حسين على صنيعه وحسن احتفائه بنا .

كنا اتفقنا مع فضيلة الأخ الكريم الأستاذ حسن عاشور صاحب دار الاعتصام على نشر رسالة لسماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الندوى ، وهى رسالته الحديثة التى نشرها من مطبعة ندوة العلماء حول الامام أحمد بن عرفان الشهيد باسم « الامام الذى لم يوف حقه من الانصاف و الاعتراف » و بما أن سماحة مولانا الندوى قد زاد فيها زيادات قيمة أحب أن تنشر فى مصر طباعة جديدة ثانية ، و لما تكلمنا الأخ الجليل الأستاذ عاشور حول الموضوع تفضل بقبول ذلك بغاية من الرحب والسعة

و وعد أن لا يالوا جهداً فى إخراجها فى ثوب جميل و مظهر جذاب ، و بعد أيام عديدة قابلت تجاربها (الملازم) بالأصل مع الأستاذ عبد النور الندوى فى دار الاعتصام ، و صدرت من المطبعة بعد ذلك بأيام بطباعة أنيقة جذابة ، و طبعت فى كمية كبيرة بلغت عشرة آلاف تولت توزيعها دار الاعتصام نفسها ، و أهدى لنا الأخ الكبير الأستاذ عاشور كمية لا بأس بها من الرسالة وزعناها بين العلماء و الأدباء والكتاب فى مصر ، و حملنا البقية إلى سماحة مولانا الشيخ أبى الحسن على الندوى .

أخبرنا بعض الاخوان بما أصيب به فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر من إنحراف فى الصحة فذهبنا إلى مكتبه وقابلنا أولا الدكتور عبد الودود شلبى مدير إدارة الأزهر ، و سألناه عما حصل لفضيلة الامام الأكبر من مرض وأبدينا له اهتمامنا بذلك وفى عيادته ، و لكنه أخطرنا برأى الأطباء فيه و ما وضعوه من حظر على عيادته ، نظراً إلى خطورة المرض ، لأنهم وضعوه فى رقابة طبية خاصة ، و أشاروا عليه باستراحة كاملة .

و لما خرجنا من إدارة الأزهر أحببنا أن نزور سيادة الأستاذ عبد السلام الشبراوى الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الاسلامية و المسئول عن المنح التعليمية للازهر فى الخارج ، و سيادة الدكتور عبد المنعم النمر وكيل ثانويات الأزهر ، فتوجهنا إلى مكتبهما وساعدنا الحظ فى لقاء سيادة الأستاذ الشبراوى وقابلنا فى مكتبه و قدمنا إليه أنفسنا كوفد ندوة العلماء فى الهند فرحب بنا ترحيباً لائقاً ، و تحدثنا معه حول المنح التعليمية التى خصصها الأزهر لطلاب ندوة العلماء فتش عن الموضوع وأمر سكرتيره بالاهتمام به وقدمنا إليه خطاباً فى الموضوع موجهاً إليه من الأمانة العامة لندوة العلماء فوعد بانجازه فى أقرب فرصة و إرسال تعليمات إلى

« إقرأ البقية على ص ١٢ »

Phone : 42948

Regd No LW/NP59

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwat - ul - Ulama LUCKNOW (India)

صدر حديثاً :

أحاديث صريحة فى أمريكا

سماحة الشيخ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى

مجموع محاضرات ألقاها سماحة الشيخ الندوى فى الولايات المتحدة الأمريكية و كندا أثناء زيارته التى قام بها فى الفترة ما بين ٢٧/ مايو ٩٧٧ م و ٦ أغسطس ١٩٧٧م .

« . . . و قد تحدث المحاضر - فى هذه المحاضرات - عن الحضارة الغربية و المدنية الأمريكية المادية من مستوى عال ، . . . و من القمة العالية التى يتراءى منها العالم القديم و العالم الحديث كلاهما كسراب خادع ، و تبدو الزخارف كلها و النضارة و البهاء ، بأجمعهما ، كلمعان الفصوص الزائفة المزورة و هى تعالج مركب النقص الذى يعانيه كثير من شبابنا إزاء الحضارة الغربية و قيمها الزائفة ، و تعيد إليهم الثقة بالرسالة التى يحملونها ، والدور الذى يجب أن يمثلوه على مسرح الحياة . . . »

يطلب من المكتبات الشهيرة

فى العالمين العربى و الاسلامى

Printed by S. M. HASANI at Nadwa Press, LUCKNOW

Phone : 42948

Regd No LW/NP59

ALBAAS-EL-ISLAMI

Nadwat . ul . Ulama LUCKNOW (India)

صدر حديثاً :

أحاديث صريحة فى أمريكا

سماحة الشيخ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى

مجموع محاضرات ألقاها سماحة الشيخ الندوى فى الولايات المتحدة الأمريكية و كندا أثناء زيارته التى قام بها فى الفترة ما بين ٢٧/ مايو ١٩٧٧م و ٦ أغسطس ١٩٧٧م .

« . . . و قد تحدث المحاضر - فى هذه المحاضرات - عن الحضارة الغربية و المدنية الأمريكية المادية من مستوى عال ، . . . و من القمة العالية التى يتراءى منها العالم القديم و العالم الحديث كلاهما كسراب خادع ، و تبدو الزخارف كلها و النضارة و البهاء ، بأجمعهما ، كلمعان القبرس الزائفة المزورة . و هى تعالج مركب النقص الذى يعانيه كثير من شبابنا إزاء الحضارة الغربية و قيمها الزائفة ، و تعيد إليهم الثقة بالرسالة التى يحملونها ، والدور الذى يجب أن يمثلوه على مسرح الحياة . . . »

يطلب من المكتبات الشهيرة
فى العالمين العربى و الاسلامى

Printed by S. M. HASANI at Nadwa Press. LUCKNOW

وھوالعلیم الخبیر

کُتب خانہ ندوۃ العُلماء لکھنؤ

عاریت

خرید

کتاب	نام کتاب	فن	نام مصنّف	مطبوعہ یا قلمی	دستخط مہتمم کتب خانہ
۲۷ / ۲ / ۵۰۷	السعت الله السلامی المجلد الثالث والعشرون من کتاب الحوادث فی المائة السابعة	خوشخط	مولانا محمد رحمن و مولانا سعید الله اعظمی	مذہب	

نوٹ: کتاب یا جلد پر کچھ لکھنا یا خراب کرنا جُرم ہے۔ کسی خرابی پر کتاب کی پوری قیمت وصول کیجا سکتی ہے۔